السلطان الظاهر بيبرس (ت ٦٧٦ هـ / 1277 م) سيرته وسياسته في توطيد دعائم الحكم المملوكي في مصر وبلاد الشام

AL -Sultan al-Zahir Baybars (d. 676 AH / 1277 AD) his life and role in clamping Abutments the Mamluks prejudging in the Egypt and Syria

أ . م . حيدر خضير مراد لفته
جامعة كربلاء / مركز الدراسات الاستراتيجية

ملخص

يتمحور موضوع هذا البحث حول سيرة السلطان الظاهر بيبرس البندقداري وسياسته في توطيد دعائم الحكم المملوكي في مصر وبلاد الشام خلال حقبة حكمه التي امتدت من سنة ٦٥٨هـ الى سنة ٦٧٦ هـ / ١٢٦٠ - ١٢٧٧ م .

وقد تبين لنا من خلال هذه الدراسة ان السلطان بيبرس هو المؤسس الحقيقي لدولة المماليك البحرية في مصر وبلاد الشام لأنه استطاع ان يحول هذه السلطنة من دولة فتية ناشئة الى دولة قوية مدعمة الأركان ، إذ اتخذ جملة اجراءات سياسية وادارية وعسكرية كان الهدف منها تقوية الدولة وتثبيت السلطنة وأضاف عوامل جديدة لا يستطيع القيام بها الا حاكم موهوب قوي العزم.

ومنذ توليه السلطنة وضع الظاهر بيبرس لنفسه سياسة واسعة الافق استهدفت في الخارج صد أخطار المغول والصليبيين عن بلاد الشام ومصر ونشر نفوذه على شبه جزيرة العرب وبلاد النوبة ، وفي الداخل توطيد الأمن والقضاء على الثوار والمناوئين وتخفيف الاعباء الملقاة على كواهل الأهالي ثم وضع قواعد النظام الإداري في مصر والشام ، وقام بقدر ضخم من الاصلاحات المتنوعة شملت جوانب الدولة كافة .

Abstract

The theme of thresis earch is centered on the biography of Sultan al-Zahir Baybars Bunduqdari and its role in clamping Abutments the Mamluks prejudging in the Egypt and syria during his reign , which lasted suffered from 658 -676 AH / 1260-1277 AD.

We have found through this study that the AL - Sultan Baybars is the real founder of the State of Mamluk the Egypt and Syria because he was able to transform this Sultanate of young country emerging into a strong state supported by pillars, as it took the phrase measures political, administrative and military objective was to strengthen the state and install the Sultanate The new factors could not only do the governor talented strong determination .

Since coming to the Sultanate put AL - Zahir Baybars himself to the policy of broad horizon targeting overseas fend off the dangers of the Mongols and the Crusaders from the Syria and Egypt and the dissemination of his influence on the Arabian Peninsula and Nubia , and inside the consolidation of security and eliminate the rebels and opponents and ease their burdens with the weight of the people then put the Rules in the Egypt and Syria , and the enormous amount of reforms included various aspects of the state as .

المقدمة

يتمحور موضوع هذا البحث حول سيرة السلطان الظاهر بيبرس البندقداري وسياسته في توطيد دعائم الحكم المملوكي في مصر وبلاد الشام خلال مدة حكمه التي امتدت من سنة ٦٥٨هـ الى سنة ٦٧٦ هـ / ١٢٦٠ - ١٢٧٧ م .

وهو موضوع له أهمية خاصة للمكانة التي يتمتع بها السلطان الظاهر بيبرس بين سلاطين المماليك البحرية الذين حكموا مصر وبلاد الشام فهو يأخذ مكانته في التاريخ الاسلامي من دوره في تقوية وتدعيم أركان سلطنة المماليك في مصر وبلاد الشام وتحويل دولتهم الناشئة الى دولة قوية مدعمة الأركان حيث يعد المؤسس الحقيقي لدولة المماليك البحرية ، وكذلك من دوره في احياء الخلافة العباسية في مصر بعد نهايتها على يد المغول في بغداد ، ولأنه وضع لسلطنة المماليك سياسة خارجية ثابتة في الجهاد الاسلامي ضد المغول والفرنجة الصليبيين ودوره في الحروب التي خاضها ضدهم كقائد ومجاهد شجاع لا يقهر إذ تمكن من تحقيق الكثير من الانتصارات على التتار والفرنجة وتوج انتصاراته على الصليبيين بالاستيلاء على انطاكية[1] وتحريرها سنة 666 هـ / 1268 م والتي تعد من أكبر الأمارات الصليبية بعد الرها[2] والتي جاء سقوطها على يد المسلمين أيذاناً بانهيار البناء اللاتيني الضخم في بلاد الشام ، وهو بذلك مهد الطريق لخلفائه ليواصلوا الجهاد بعده لكي يصلوا الى الهدف المنشود في طرد الصليبيين الفرنجة من بلاد الشام وتحجيم خطر المغول وأضعافهم فهذه الانجازات العظيمة من لدن السلطان بيبرس تتطلب الوقوف على شخصيته ودراسة سيرته وسياسته .

وسوف نتناول في هذه الدراسة سيرة بيبرس ونشأته ودوره في الاحداث التي رافقت نشوء دولة المماليك في مصر وبلاد الشام على انقاض دولة الايوبيين ثم نتطرق الى الظروف والعوامل التي دفعته لقتل المظفر قطز وظهور بيبرس على مسرح الاحداث وتوليه السلطنة ثم نسلط الضوء على سياسته وإجراءاته في تقوية وتثبيت أركان الدولة المملوكية وتحويلها من دولة ناشئة الى دولة قوية أدت دوراً كبيراً في احداث المشرق الاسلامي ثم نستعرض السياسة الخارجية للظاهر بيبرس والحروب التي خاضها ضد كل من المغول والصليبيين والانتصارات التي حققها.

ومما لاشك فيه أن السلطان بيبرس يعد مؤسس الكيان المملوكي ومخطط الانتصارات الكبرى فأن منجزاته السياسية والعسكرية أعطت السلطنة المملوكية قوة وتماسكاً من الداخل والخارج ورسخت مكانتها السياسية والعسكرية في نظر المعاصرين لتلك السلطنة فحازت على اعتراف واحترام الدول الموالية والمعادية لها .

وقد اعتمدت في هذا البحث على مصادر ومراجع متنوعة منها كتب التأريخ العام ، وكتب التراجم ، وكتب الأدب ، فضلاً عن بعض المراجع المهمة التي تحدثت عن العصر المملوكي ، مما له علاقة بموضوع الدراسة .

المبحث الأول : سلطنة بيبرس على دولة المماليك البحرية في مصر و بلاد الشام

أ – السيرة الذاتية للأمير ركن الدين بيبرس

أولاً : التسمية :

هو السلطان الملك القاهر ثم الظاهر ركن الدين أبو الفتوح بيبرس بن عبد الله البندقداري الصالحي النجمي الايوبي التركي ، سلطان الديار المصرية والبلاد الشامية والاقطار الحجازية وهو الرابع من ملوك الترك [3] .

ثانياً : اوصافه :

كان أسمر اللون ، طويل القامة ، جهوري الصوت ، شجاعاً نشيطاً خفيف الركاب يحب السفر والحركة ، ومن عادته أن يشرف على كل شيء بنفسه سواء أكان بالقاهرة أم بالإسكندرية أم بأي مكان أخر راكباً جواداً او هجيناً ، والخلاصة انه كان مولعاً بالسفر حتى قيل فيه :

يومـــاً بـــمصر ويوماً بالـــشام	وبالفرات يوماً ويوماً في قرى حلب

وكان مغرماً بلعبة تتارية تشبه لعبة " التنس " عند الانكليز وتدعى " القبق " كان يخصص لها يومين من كل اسبوع [4] .

ثالثاً : نشأة بيبرس ودوره في أحداث دولة المماليك البحرية

ولد في حدود العشرين وستمائة ، بصحراء القبجاق[5] تخميناً والقبجاق قبيلة عظيمة في الترك [6] ، أسر وبيع ، واشتراه وهو صغير السن رجل يدعى " العماد الضائع " فباعه للأمير علاء الدين أيدكين البندقداري[7] ، ثم انتقل ملكه الى الملك الصالح نجم الدين الأيوبي[8] ، فنسب لذلك إليهما وقد أعتقه الصالح وضمه الى مماليكه البحرية ورباه معهم ، فشب باسلاً لايهاب الموت ، وقد عرفته الحروب – وهو أمير – مقداماً صنديداً ، عرفته في موقعة المنصورة[9] ، التي هزم فيها الفرنجة في عهد تورانشاه [10] وموقعتي عين جالوت[11] وبيسان[12] اللتين هزم فيها الفرنجة في عهد قطز [13] ، اشترك بيبرس ، قبل سلطنته بعدة مؤامرات [14] ، حيث كان احد الذين أتمروا بأغتيال حياة السلطان تورانشاه أخر سلاطين الدولة الأيوبية [15] ، ومنها مؤامرته مع المماليك

البحرية بزعامة فارس الدين اقطاي [16] ضد الملك المعز ايبك التركماني [17] فلما قُتُل فارس الدين اقطاي وشتت شمل زملائه ، فر بيبرس مع بعضهم الى بلاد الشام ، واتصل بملكها الناصر ، ثم عاد الى مصر في عهد قطز ، وعين أتابك العسكر فقاتل مع الطليعة في معركة عين جالوت ، ثم دبر مؤامرة اغتيال قطز بعد انتصارهم على التتار[18] .

لقد خضع بيبرس للمراحل الثلاثة التربوية – التدريبية التي كان يخضع لها المماليك في القلعة حيث نشأ على تعلم اساليب الفروسية والقتال فنشأ قوياً صلباً شجاعاً متوقد الذكاء والحيوية طموحاً قاسياً في طباعه ، فكان له دور في معظم الاحداث التي رافقت نشوء دولة المماليك البحرية في مصر و بلاد الشام ودور مهم في الجهاد الاسلامي ضد المغول وخاصة في معركة عين جالوت سنة 658 هـ / 1260 م وذلك كله قبل ان يتولى السلطنة المملوكية .

ب – تولي الأمير بيبرس للسلطنة المملوكية

أولاً : موقعة عين جالوت ودور بيبرس فيها سنة 658هـ / 1260 م

لقد غزا المغول العالم الاسلامي فدخلوا بغداد سنة 656 هـ / 1258 م واسقطوا الخلافة العباسية ثم زحفوا نحو بلاد الشام ينهبون مدنها ويخربونها وارسل هولاكو [19] رسالة انذار الى السلطان المملوكي المظفر قطز يأمره فيها بالاستسلام والخضوع لكن قطز قرر مواجهة المغول فقتل رسل هولاكو وعلق رؤوسهم على باب زويلة واستعد المماليك لمواجهة حاسمة مع المغول التتار [20] .

كان المظفر قطز قد تقدم بقواته حتى وصل الغور الذي به عين جالوت تلك البلدة الصغيرة الواقعة بين بيسان ونابلس من أرض فلسطين ، وكان التتار قد اجتمعوا في ذلك المكان وذلك في اليوم الخامس والعشرين من شهر رمضان 658 هـ / اوائل أيلول 1260 م فأمر السلطان المظفر بجمع الامراء وقادة الجيش وحضهم على القتال ورغبهم فيه [21] .

ثم تقدم بيبرس البندقداري بفرقة الكشافة لاستطلاع أخبار العدو ومناوشته حتى يصل السلطان ببقية الجيش ، ويبدو أن الهدف من تقدم بيبرس كان أيهام العدو بقلة عدد المسلمين ، ثم ليصل السلطان بالجيش الرئيسي فجأة فينهزم العدو ، وتقدم بيبرس حتى التقى بطلائع التتار، وكتب الى السلطان يخبره بذلك [22] ، واستمر يناوشهم الى ان وافاه السلطان قطز عند عين جالوت فاصطدمت طليعة المسلمين مع طليعة التتار ، واشتد القتال بينهما حتى انهزم العدو في اللقاء الاول ، فلما حل يوم الجمعة الخامس والعشرين من رمضان سنة 658هـ/ 1260م[23]، التقى الجمعان وفي قلوب المسلمين خوف كبير من التتر [24] ، وذلك بعد طلوع الشمس وكان الوادي قد امتلأ بالناس من سكان القرى والضياع المجاورة فكثر صياحهم ودعائهم بالنصر ، ودقت طبول الحرب وأشتد أوار القتال بين الفريقين وتقاتلا قتالاً شديداً لم ير مثله حتى قتل من الطائفتين جماعة كثيرة [25] ، وكان بيبرس قد نصب كميناً للتتر في المنطقة وعند لقاء العدو بطليعة المسلمين انكسرت هذه الطليعة وانسحبت فتشجع المغول وتعقبوا المسلمين وقتلوا بعضهم ، ولكن عندما وصلوا الى الكمين الذي كان أعده لهم بيبرس انقضت عليهم القوات الاسلامية من ثلاث جهات واستبسلت القوات الاسلامية في قتال العدو ، وقاتلوهم قتالاً شديداً مستميتاً من الفجر حتى منتصف النهار ، ثم تعذرت المقاومة على جيش المغول ولحقت بهم الهزيمة أخر الأمر وانهزم المغول شر هزيمة وولوا الادبار وقتل مقدمهم كتبغا [26] .

وتتبع الأمير بيبرس البندقداري فلول التتار حتى حدود الفرات [27] ، ومما سبق يبدو انه كان للأمير بيبرس دوراً كبيراً ومهماً في معركة عين جالوت حيث كان في مقدمة وطليعة جيش المماليك وقائداً للكشافة وهو الذي وضع كميناً للمغول اوقعهم فيه مما كان له أثراً فاعلاً في هزيمتهم وهو الذي تتبع فلولهم حتى نهر الفرات ، وذلك يدل على شجاعته وقوته وخبرته الحربية وتمرسه في فنون القتال واصبح بعد عين جالوت ذا مكانة كبيرة بين أمراء المماليك .

ثانياً : مقتل السلطان قطز وتولي بيبرس السلطنة

أن الامير بيبرس كان يأمل ان يجد من قطز حظاً من التقدير بعدما ابداه من شجاعة في محاربة التتار ، فطلب من قطز ان يوليه نيابة حلب [28] التي كان السلطان قد وعد فعلاً بمنحها أياه [29] ، ولكن قطز أمتنع وتنكر للجميل ، وبذلك أظهر قصر نظر واضح لأن المكانة التي احرزها بيبرس في ذلك الوقت كانت أعظم من أن يتجاهلها أنسان [30] بسبب الدور المهم الذي أداه في تحقيق الانتصار في موقعة عين جالوت ، اضافة الى أنه كان بمنصب أتابك العسكر .

لكن السؤال المهم هو : لماذا أمتنع المظفر قطز عن توليته نيابة حلب ؟ التي ربما لو تولاها بيبرس سوف ينشغل بها وبإدارتها عن منافسة قطز في سلطنة مصر !

للإجابة عن ذلك يمكن القول أنه من المحتمل أن السلطان المظفر قطز شعر بالغيرة والحسد للأمير بيبرس بسبب المكانة والنفوذ الذي اصبح يمتلكها بين الأمراء البحرية بعد دوره المهم في معركة عين جالوت وربما تلك المكانة و ذلك النفوذ هو ما حدا بالمظفر قطز الى عدم اعطائه نيابة حلب خوفاً من أن يستقل بها عن مصر [31] .

ولا يخفى علينا أن البحرية ومنهم بيبرس – لم ينسوا لقطز ان شارك في قتل كبيرهم أقطاي زمن أيبك ، وبمعنى اخر فإن البحرية أحسوا دائماً ان لهم ثأر في عنق قطز ، ولذا لم يكونوا في حاجة الى مزيد من التحريض والاستثارة ضد قطز [32] .

وكان أن صمم بيبرس على الانتقام من قطز ، فدبر مؤامرة مع زملائه من زعماء البحرية لقتل قطز في أول فرصة مناسبة [33] ، وكان قطز قد عزم على السير الى حلب ولكنه عدل عن ذلك لما بلغه من تنكر الأمير بيبرس البندقداري وتغيره عليه لعدم حصوله على حلب ، فخاف السلطان قطز منه واضمر له السوء ، وسار الى مصر بدلاً من قصد حلب ، وعلم بيبرس بما في نفس قطز نحوه فأخذ كل منهما حذره من الأخر والكل يريد هلاك الأخر [34] .

وسرعان ما حانت الفرصة عندما وصل ركب السلطان الى الصالحية في طريقه الى القاهرة وذلك أن قطز أظهر رغبته في الصيد ، فذهب يتصيد وانفرد عن حرسه ومن يقوم بحمايته ، وسارت الرواحل على الطريق ، فأتبعه بيبرس ومن تأمر معه من أمراء البحرية وكانوا يتحينون هذه الفرصة ، فلما فرغ من رياضته تقدم منه الأمير بيبرس وطلب أمراة من سبي التتار فأجابه السلطان الى طلبه وأنعم عليه بما أراد ، وقد تظاهر بيبرس برغبته في تقبيل يد السلطان ، وكانت اشارة بينه وبين شركائه

المتآمرين ، فقبض بيبرس على يد قطز ليمنعه من الحركة في حين انهال عليه بقية أمراء البحرية بسيوفهم ورماحهم وألقوه عن فرسه حتى أجهزوا عليه ، وبمقتل قطز على ذلك الوجه في اواخر تشرين الأول سنة 658 هـ / 1260 م ، خلا الجو للبحرية وزعيمهم بيبرس [35] .

اتفق أمراء المماليك البحرية الذين اشتركوا في قتل قطز على سلطنة بيبرس [36] ، وكان طبيعياً ان تؤول السلطنة بعد مقتل قطز الى قاتله الأمير ركن الدين بيبرس ، بوصفه أقوى الامراء البحرية من ناحية وصاحب الفكرة في قتل قطز من ناحية ثانية ، فضلاً عن مواقفه المشرفة في محاربة المغول من جهة ثالثة [37] ، فلما اتجهوا الى الدهليز السلطاني – وهو المعسكر الذي يقيم فيه السلطان إذا خرج للصيد او الحرب – قابلهم الاتابك الأمير أقطاي المستعرب [38] ، فأخبروه بمقتل قطز [39] ، وعندئذ سألهم الأتابك " من قتله منكم ؟ " فقال بيبرس " أنا " فنظر إليه الأتابك وقال : " يا خوند [40] ، اجلس في مرتبة السلطنة " [41] ، فجلس بيبرس وبايعه أقطاي وحلف له ، ثم تلاه بقية الأمراء على طبقاتهم [42] ، وهو لايزال في الصالحية ، في دهليز السلطان قطز ، وحلفوا له جميعاً أن لا يخونوا ولا يثبوا عليه [43] .

كانت القلعة هي المكان الرسمي لأجراء مراسم التنصيب ، لذلك فما ان وصل القاهرة في ليلة الاثنين (التاسع عشر من شهر ذي القعدة سنة 658 هـ / شهر تشرين الأول سنة 1260 م) حتى توجه الى القلعة ودخلها وجلس على عرش السلطنة وتلقب بـ " الملك القاهر" [44] ، وحضر اليه الصاحب الوزير زين الدين يعقوب بن الزبير[45] واشار عليه أن يغير اللقب بالملك القاهر ، فإنه ما تلقب به احد فأفلح ، فاستقر لقبه الملك الظاهر [46] ، وأمر المنادي بأن يطوف شوارع القاهرة ويدعو للملك الظاهر [47] .

وهكذا اصبح الملك الظاهر بيبرس البندقداري سلطاناً على دولة المماليك البحرية في مصر سنة 658 هـ / 1260 م .

المبحث الثاني : سياسة وأعمال الظاهر بيبرس في تقوية أركان الدولة وتثبيتها

أولاً : سياسة بيبرس الداخلية

بعد تولي بيبرس السلطة ، بدأ بيبرس في ترتيب الوضع الداخلي ، فأخذ يتقرب من الناس خاصتهم وعامتهم ، فحاول استقطاب الامراء وجعل الناس يقبلون عليه ويلتفون حوله ، وكان بيبرس حازماً بعيد النظر ، حسن التدبير ، ذا همة عالية ، وبأس شديد اتصف بالعدل في حكمه والفروسية في شجاعته واقدامه [48] ، وقد اتخذ بيبرس العديد من الإجراءات كي يحقق هدفه المنشود وهو تثبيت السلطة ، وتقوية دولته الفتية الناشئة وتحصينها كي تستمر قوية ، فأقدم على توزيع المناصب على الامراء الذين هم محل ثقته ، أصبح هؤلاء الامراء مساعديه في إدارة شؤون الدولة [49] .

وأقدم بيبرس على تخفيف الضرائب عن السكان ، فألغى ما كان أحدثه المظفر قطز من ضرائب بحجة محاربة المغول ، وعفا عن السجناء السياسيين وأفرج عنهم [50] .

وكتب بيبرس الى الامراء المسلمين رسائل يبرر فيها انقلابه ويذكر لهم بزوغ فجر دولة مملوكية قوية بدليل أنها استطاعت أن توقف التقدم المغولي في عين جالوت وأن ما جرى من تغيير في نظام الحكم – كانت له ظروفه وضرورته السياسية ، وكتب الى أمير اليمن وجميع ملوك الشام لكسب هؤلاء جميعاً [51] .

أ – القضاء على الثورات الداخلية والتخلص من العناصر المناوئة .

وقد واجه بيبرس العديد من الحركات الثورية والانفصالية المناهضة لحكمه [52] ، فقد واجه ثورتان داخلية في أن واحد الاولى في دمشق والثانية في القاهرة [53] ، الثورة الاولى في بلاد الشام حيث قاد المعارضة للسلطان بيبرس الأمير علم سنجر الحلبي [54] ، الذي انتهز هذه الفرصة وقرر الثورة على حكم بيبرس وذلك لأن قطز الذي ولاه حاكماً على دمشق قتل على يد بيبرس ، وأن بيبرس لم يأخذ رأي او بيعة الامراء الاخرين [55] ، واعلن سنجر نفسه حاكماً على دمشق في عام 658 هـ / 1260 م ولقب نفسه بلقب " الملك المجاهد " ، وأمر بالخطبة له وضرب سكة النقود باسمه ، وأرسل الى ملوك الشام وامرائها ، يطلب منهم الدخول في طاعته فرفضوا خوفاً من بيبرس [56] .

ولما علم بيبرس بما فعله سنجر ارسل حملة بقيادة علاء الدين البندقداري[57] الذي استطاع ان يقبض عليه ويأتي به أسيراً الى القاهرة في صفر سنة 659 هـ / كانون الثاني سنة 1261 م حيث اعتقله بيبرس في قلعة ثم عفا عنه ، وولى علاء الدين البندقداري نيابة دمشق [58] ، وهكذا تمكن الظاهر بيبرس من القضاء على هذه الثورة بعد شهر واحد من قيامها ليوطد مركزه في السلطة .

أما الثورة الثانية في القاهرة وكان زعيمها رجل شيعي يعرف بالكوراني [59] _ نسبة الى كوران أحدى قرى نيسابور [60] .

وقد كان الكوراني زاهداً أظهر الورع ، فالتف حوله جماعة من السودان وقام بحركة كبرى في أواخر عام 658 هـ/ 1260 م فانطلقوا في شوارع القاهرة ليلاً وهم ينادون " يا آل علي " واستولوا على محلات السيوف والسلاح ، واصطبلات الخيول ، واخذوا الخيل مع السلاح فخرجوا في قتال رجال بيبرس الذين أخمدوا ثورتهم وقبضوا على زعمائهم وصلبوهم على باب زويلة ، كما صلبوا الكوراني نفسه [61] .

وواجهت الظاهر بيبرس عدة مشكلات هددت دولته من بينها بقايا الايوبيين ولا سيما الملك المغيث عمر بن العادل بن الكامل [62] صاحب حصن الكرك [63] الذي استمر في عدائه للمماليك منذ عهد آيبك التركماني حيث كان يعتقد انه الاحق بحكم مصر والشام من المماليك[64] ، وكان الظاهر بيبرس يعلم مدى طموح المغيث عمر وتطلعه الى عرش مصر خاصة وقد اشترك بنفسه سابقاً في حملتيه على مصر للإطاحة بعرش المماليك [65] .

ولما وصل بيبرس للحكم قرر القضاء على المغيث عمر وانهاء سلطته ، وأعد حملة بذلك الا أن المغيث أرسل رسالة الى الخليفة الحاكم بأمر الله [66] يطلب منه الرأفة به ، وكتب الخليفة الى بيبرس ليشفع فيه فقبل ذلك وأبقى على المغيث في الكرك ، ولكن الأخير ظل على سياسته وكتب الى هولاكو يحضه على مهاجمة بلاد الشام ، وان يقيمه عليها ملكاً تابعاً ، وقد علم بيبرس بأمر هذه المكاتبات ، وأرسل الى عمر للذهاب الى بلاط بيبرس وقابله وأكرمه وساقه معه ثم قبض عليه واعتقله وجمع بيبرس مجلساً حضره كبار الامراء وقاضي القضاة في دمشق المؤرخ شمس الدين بن خلكان[67] ، وأطلعهم على الكتب بينه وبين هولاكو وأحضر فتاوي الفقهاء بوجوب قتل المغيث عمر ، وأرسله بالحديد مقيداً بين يديه الى القاهرة حيث قتل في سنة661 هـ / 1263 م ، واستولى بيبرس على الكرك في السنة نفسها ، وعين والياً عليها من قبله ، وبذلك تخلص المماليك من الايوبيين المناوئين [68] .

ب – احياء الخلافة العباسية في القاهرة

كان الأمير أبا القاسم احمد بن الخليفة الظاهر بأمر الله محمد بن الناصر لدين الله احمد بن المستضيء بالله العباسي[69] معتقلاً ببغداد فأطلق ، وكان مع جماعة من الأعراب بأرض العراق[70] ، فلما تسلطن الملك الظاهر بيبرس وفد عليه في رجب ومعه عشرة من بني مهارش فركب السلطان للقائه ومعه القضاة وأعيان الدولة [71] ، ولما التقيا ترجل الظاهر بيبرس عن فرسه اجلالاً لمقامه وتقدم ثم عانقه [72] .

وسار الركب في الشوارع حتى صعد الى قلعة الجبل والخليفة يرتدي شعار بني العباس وفي صباح الاثنين الثالث عشر من شهر رجب عقد الظاهر مجلساً عاماً بالديوان الكبير في القلعة حضره العلماء والقضاة وجميع رجال الدولة وكبار التجار ووجوه الناس كما حضره شيخ الاسلام عز الدين بن عبد السلام [73] وشهد العلماء والناس والفقهاء والقضاة بصحة نسبه ، فبايعه بيبرس بالخلافة والعمل بكتاب الله وسنة نبيه ، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والجهاد في سبيل الله ، وأخذ امواله في حقها وصرفها في مستحقها ، ثم الامراء وكبار رجال الدولة ، ثم الناس على مختلف فئاتهم وتلقب أبو القاسم بلقب الخليفة المستنصر بالله [74] .

وقلد الخليفة بيبرس البلاد الإسلامية ، وما سيفتحه الله على يديه من بلاد الكفار وألبسه خلعة السلطنة وهي عمامة سوداء مذهبة ومزركشة وجبَّة حرير سوداء ودراعة (جبة مشقوقة من الامام ولا تكون الا صوف) بنفسجية اللون ، وطوق من ذهب ، وقيد من ذهب ، وسيف ، ولواءان ينشران على رأسه ، وسهمان كبيران ، وترس [75] .

وأصبح بيبرس سلطاناً شرعياً ، فأمن بذلك منافسة الامراء له ، وزود الخليفة بعدد من الجند ليرسله الى بغداد لاستعادتها من يد المغول ، ولكن الخليفة خسر المعركة عن بلدة هيت[76] ، ولم يعد لأنه قتل في المعركة [77] .

ويروى ان بيبرس لم يكن مخلصاً في ارسال الخليفة الى بغداد حيث زوده بعدد قليل من الجند مع علمه بمدى قوة المغول وكأنما يريد ان يلقي به الى التهلكة وأن سبب ذلك هو أن أحد أمراء الموصل وسوس لبيبرس أن الخليفة اذا انتصر سوف ينازعك ويخرجك من حكم مصر ، وهكذا انتصر المغول في المعركة وخسرها الخليفة الذي قتل فيها ويقال انه نجا مجروحاً في طائفة من العربان ومات عندهم [78] .

ولم ينج من هذه المعركة سوى الأمير أبي العباس احمد ونحو خمسين فارساً ولما علم الظاهر بيبرس بمقتل الخليفة أظهر تأسفاً شديداً ، وان كانت نفسه لا تريد من هؤلاء الخلفاء الا اخذ الشرعية له كسلطان فقط كما ذكر المؤرخون [79].

واعاد التجربة مرة أخرى فاستدعى الأمير ابا العباس أحمد الذي نجا من المعركة ، وبايعه بالخلافة وأجرى له احتفالات تنصيب في محرم عام 661 هـ / تشرين الثاني عام 1262 م ، وتلقب بالحاكم بأمر الله وحصل بيبرس منه على تقليد بالسلطنة وتلقب بلقب " قسيم أمير المؤمنين " [80] .

لكن بيبرس قيد صلاحيات الخليفة خوفاً على سلطنته – والتي يسعى لتثبيتها [81] ، والسؤال الهام الذي يمكن أثارته هنا هو : لماذا أحيى الظاهر بيبرس الخلافة العباسية في القاهرة؟ اذا لم يكن مخلصاً في ولائه للخلفاء العباسيين ؟! وللإجابة على هذا التساؤل يمكن القول :

أنه مما لاشك فيه ان المماليك البحرية اغتصبوا السلطة من أسيادهم بني أيوب لاسيما بعد قتلهم المعظم تورانشاه لذلك كانت سلطتهم وسيادتهم على مصر وبلاد الشام سلطة غير شرعية في نظر الكثيرين وقد شعروا بذلك [82] .

ولأنهم كانوا في الحقيقة مجروحي الأصل لأنهم عبيد غير أحرار ، وفوق ذلك كله كان بيبرس قد قتل قطز واغتصب السلطة منه لذلك كان بيبرس يشعر انه ناقص الشرعية ولذلك هو يحتاج الى دعامة شرعية كبرى تسند موقفه في الحكم وتضفي طابعاً من الشرعية على الدولة المملوكية امام الدول والامارات الاسلامية المجاورة الأخرى ولكي يأمن من منافسة الامراء الاخرين له ، وليظهر امام العالم الاسلامي بمظهر الحامي للخلافة العباسية لكي يجعل لنفسه شيئاً من النفوذ والزعامة على البلاد الاسلامية وخلاصة القول ان الظاهر بيبرس كان في حاجة الى تدعيم سلطانه بتلك المظاهر الدينية ، ومن نتائج احياء الخلافة العباسية في مصر ان القاهرة تمتعت بالشهرة الدينية والعلمية والتجارية الواسعة لأنها اصبحت مركز الخلافة الإسلامية[83] .

ثانياً : أعمال بيبرس المدنية والادارية

بعد أن تولى بيبرس السلطنة بدأ بترتيب الاوضاع الداخلية المدنية والادارية فأخذ يتقرب من الناس خاصتهم وعامتهم ، فحاول استقطاب الامراء وجعل الناس يقبلون عليه ويلتفون حوله وكان حازماً بعيد النظر ، حسن التدبير وقد استهدفت سياسة بيبرس وأعماله في الداخل توطيد الأمن والقضاء على الثوار والمناوئين وتخفيف الاعباء الملقاة على كواهل الأهالي ثم وضع قواعد النظام الإداري في مصر والشام في العصر المماليكي ، فضلاً عن القيام بقدر ضخم من الاصلاحات المتنوعة [84] .

أ – مبدأ الوراثة في الحكم

لم يقم المماليك أي وزن سياسي لمبدأ الوراثة في الحكم ، كما كان الوضع عند بعض الامم الاخرى فهذا المبدأ غريب على عقليتهم وتفكيرهم السياسي ، لأنهم اعتقدوا بأن الملك يجب أن يؤول الى أقوى الأمراء شجاعة وأكثرهم مهارة ، وأشدهم ذكاءً ودهاءً ، وكثيراً ما أعتلى أحد الاتابكة سدة الحكم على حساب ابن سيده الضعيف او القاصر ، وكذلك أحد الامراء الاقوياء ، إذا سانده اتباع كثر ووجد نفسه واسع الثراء وذا مقدرة سياسية كبيرة ، ومهارة عسكرية فائقة ، فيلجأ الى أثارة الفتن والاضطرابات في وجه السلطان الحاكم للوصول الى هدفه ، لكن بيبرس رأى ان يضع حداً لهذا المبدأ القائم على تغلب الأقوى وأن يؤسس نظاماً ثابت الأركان يجنب البلاد الخضات السياسية ويضمن بقاء الحكم في أسرته ، فتبنى مبدأ الوراثة في الحكم [85]. ويبدو ان هذا المبدأ لم يطبق بشكل دائم في الحياة السياسية في دولة المماليك البحرية ، وتقلب وفقاً لتغير الظروف السياسية [86] .

ب – تطوير الجهاز الاداري

دأب بيبرس على تحسين وتطوير الجهازين الإداري والعسكري فاستحدث بعض الوظائف الإدارية ، متأثراً بما كان لدى المغول من موظفين إداريين و عسكريين يساعدون الخاقان[87] على إدارة أمور البلاد وكانت الوظائف التي عرفها المماليك وأخذوها عن الفاطميين والأيوبيين لا تفي بحاجة الدولة الآخذة في التطور والتوسع ، فانشأ وظائف جديدة لم تكن معروفة في مصر من قبل يشغلها أمراء يعينهم السلطان من بين الاشخاص الذين يثق بهم ويسهل التعامل معهم وهي :

أمير السلاح : لقب أطلق على الذي يتولى سلاح السلطان أو الأمير [88] ، وصاحبه هو المقدم على السلاحدارية من المماليك السلطانية والمتحدث في السلاح خاناه السلطانية ، وما يستعمل لها ، ويقدم إليها ، ولا يكون الا واحداً من الامراء المقدمين [89] .

أمير المجلس : لقب أطلق على الذي يتولى أمر مجلس السلطان أو الأمير [90] ، وموضوع إمره المجلس ، تولى أمور مجلس السلطان ، وهو يتحدث على الاطباء والكحالين " اطباء العيون" ومن شاكلهم ولا يكون إلا واحد منهم [91] ، كانت هذه الوظيفة ذات مقام رفيع ، ويعتبر متوليها أعلى منزلة من أمير السلاح ، ويختار من بين أمراء المئين [92] ، ويهيمن على شؤون التدابير الإدارية ويتمتع بحكم وظيفته بالجلوس في حضرة السلطان [93] ، كان بيبرس أول من حدد اختصاصات هذه الوظيفة ، وقد ازداد قرب أمير المجلس من السلطان حتى أضحى يحرسه داخل القصر بل وفي حجرة نومه [94] .

رأس النوبة : لقب أطلق على الذي يتحدث على مماليك السلطان او الأمير وينفذ حكمه [95]. أمير آخور : هو الذي يتحدث على إصطبلات السلطان او الأمير ، ويتولى أمر ما فيها من الخيل والابل وغيرها مما هو داخل في حكم الاصطبلات ويتخذ مسكنه في الاصطبل السلطاني[96] .

أمير جاندار : لقب اطلق على الشخص الذي يستأذن على الأمراء و غيرهم في أيام المواكب عند الجلوس بدار العدل ، فيتولى ادخال الناس على السلطان وهو جالس بقلعة الجبل ويدخل أمامهم الى الديوان ، وهو يد السلطان اليمنى فإذا أراد ان يقتل أحداً يتولى أمير جاندار تنفيذ ذلك[97] ، ومع أن هذه الوظيفة كانت معروفة في مصر في العصر الطولوني ، وعصر الدولة الفاطمية ، ويطلق على متوليها اسم " صاحب الباب " ، فإن أهميتها عظمت في عصر الظاهر بيبرس الذي حدد اختصاصات صاحبها [98] .

امير علم : لقب أطلق على من يتولى أمر الاعلام السلطانية والطبلخاناه وما يجري مجرى ذلك[99].

نقابة الجيوش : يتولى صاحب هذه الوظيفة مراقبة الامراء الذين يود السلطان القبض عليهم كما يدور على الامراء والجند في عرضهم للمهمات الشريفة [100] .

جـ _ تعديل نظام القضاء

كان يتولى منصب القضاء في عهد الايوبيين في القاهرة وسائر أعمال الديار المصرية قاض واحد على المذهب الشافعي وله حق تعيين نواب عنه في الاقاليم ، واحياناً كان يعين قاضٍ للقاهرة والوجه البحري وظل الوضع على ذلك حتى عام 660 هـ / 1262 م ، ذلك ان بيبرس لم يشأ أن ينفرد قاضي قضاة الشافعية بوظيفة القضاء في مصر كلها وكان يومئذ تاج الدين أبو محمد عبد الوهاب ابن بنت الاعز [101] فأشرك معه القاضي برهان الدين السنجاري[102] فاختص الأول بقضاء القاهرة والوجه البحري ، في حين اختص الثاني بالنظر في قضاء الفسطاط والوجه القبلي [103] .

وما زال السلطان يطور النظام القضائي حتى ثبته وجعله مبدأً رسمياً في شهر ذي الحجة سنة 663 هـ / شهر تشرين الاول عام 1265 م فعين أربعة قضاة يمثلون المذاهب الأربعة وسمح لهم أن يعينوا نواباً عنهم في الديار المصرية ، فكان القاضي ابن بنت الاعز يمثل المذهب الشافعي والقاضي صدر الدين سليمان[104] يمثل المذهب الحنفي ، و القاضي شرف الدين عمر السبكي [105] يمثل المذهب المالكي ، والقاضي شمس الدين القدسي يمثل قضاء الحنابلة وفعل مثل ذلك في دمشق [106] .

وسن بيبرس عدة تشريعات لتهذيب اخلاق المصريين لعل أهمها الأمر الذي أصدره في عام 664 هـ / 1266 م ومنع بموجبه بيع الخمور ، واقفل الخانات في مصر وبلاد الشام ، ونفى كثيراً من المفسدين [107] .

د – إنجازات بيبرس العمرانية

لقد قام السلطان الظاهر بيبرس بإنجاز العديد من مشاريع البناء و العمران الحضارية ومن أهم منشأته العمرانية :

- جدد بناء الحرم النبوي .
- جدد بناء قبة الصخرة في القدس ، بعد ان تداعت أركانها .
- أعاد الضياع الخاصة بوقف الخليل في فلسطين ، بعد أن دخلت في الاقطاع عليه قرية اسمها بإذنا .
- بنى المدرسة الظاهرية بين القصرين ، وعين فيها كبار الاساتذة .
- أعاد بناء حصن الجزيرة بعد أن هدمه الملك المعز .
- بنى مسجده المعروف باسمه في ميدان الأزهر في القاهرة ، وبنى القناطر على جسر شبرمنت لتتلقى صدمة الماء الاولى ، شيد قناطر السباع ، وبنى مشهد النصر في عين جالوت تخليداً لذكرى الانتصار على المغول ، وجدد أسوار الاسكندرية ، وبنى مرقباً في ثغر رشيد لكشف مراكب العدو ، وأعاد بناء القلاع التي هدمها المغول في بلاد الشام[108] .

ثالثاً : دوره في تطوير الجيش وتقويته

لقد أهتم بيبرس بالجيش المملوكي وتطويره ذلك لأن دولة المماليك دولة حربية قامت اساساً على القوة وعلى انتصار المماليك على الصليبيين في المنصورة وفارسكور ثم أن بقاء المماليك يسيطرون على مقاليد الأمور يرتبط بمدى نجاحهم وقدرتهم في صد الاخطار الخارجية عن المسلمين وديار الاسلام فيظهرون بمظهر الحامي والمدافع عن الدين الاسلامي لذلك كان بيبرس حريصاً على بناء وتقوية الجيش المملوكي في مصر وبلاد الشام .

أ – الاهتمام بالجيش والاسطول البحري

كانت عين بيبرس على جنوده وجيشه ، فقد أهتم أهتماماً شديداً بتنمية القوة العسكرية لدولة المماليك الناشئة لمواجهة اعدائها ، كون بيبرس جيشه من المماليك [109] ، فقام بشراء جند من أهل القفجاق وبلاد التركستان [110] ، واجناس المماليك في مصر واعتمد عليهم بيبرس في جيشه الذي بلغ عدده أربعون ألف فارس ، وأكرمهم وأسكنهم اللوق قرب القاهرة [111] ، وكان قائدهم أتابك العسكر ، وهم الجيش الذي يتكون من المماليك السلطانية ، والأجلاب وهم الخاصكية أي خدم السلطان ، وجنده في الحضرة السلطانية وأعظم جنود السلطان ، ثم جند الحلقة من محترفي الجندية من أولاد المماليك والذين عرفوا بـ (أولاد الناس) ، وهم أكثرية الجيش ومعظمهم من أهل مصر ثم الشام ، وهناك المماليك الامراء الذين يتبعون امراؤهم في وحدات عسكرية يذهب بها الامراء مع السلطان في حروبه ومعاركه[112] .

وانشأ بيبرس قوة بحرية يستخدمها ضد اعدائه من الجهات البحرية ، وهو مؤسس الاسطول المملوكي [113] ، فقد أهتم بدور صناعة السفن في مصر وجزيرة الروضة والاسكندرية ودمياط ، وبنى السفن والشواني [114] و جهزها بالآلات والمعدات وتوفير الاخشاب وتصليح السفن مع كثرة الغابات والاشجار في مصر وجعل بيبرس الروضة لاستخدام الاخشاب فيها ، واعتمد ايضاً على صناعة السفن من أخشاب أسيا الصغرى ذات الجودة [115] .

ب – تحصين الاطراف والثغور و العناية بالبريد :

احتاجت الدولة المملوكية الى ترصين حدودها ضد الغزو الاجنبي وتنظيم جيوشها واساطيلها وقد ركز بيبرس على ما تحتاجه دولته من ترصين وفي مقدمتها تجنيد العشائر العربية سنة 659هـ/ 1261 م على حدود الفرات وحثهم على قتال هولاكو بعد أن دعمهم بالأموال والهدايا وقاموا بالفعل بتهديد المغول[116] .

وأعاد بناء القلاع في بلاد الشام التي خرَّبها المغول من حمص [117] الى حوران[118] وشحنها بالمقاتلة ، وزودها بالمؤن والذخيرة [119] ، وابراج المراقبة التي أقامها على طول الأطراف الصليبية لحفظ الطرق من هجمات الصليبيين [120] ، فأمن بذلك خطاً دفاعياً من شرقي الاردن الى نهر العاصي [121] .

وأهتم بيبرس بأعمار الابراج لمراقبة العدو ، ووضع عليها الحراس وجعلها مراصد دفاعية أمامية ، وقام بتجديد القلاع على الحدود الفراتية مثل قلعة البيرة [122] التي أرسل إليها الاسلحة والآلات من مصر والشام ، وشيد في مصر برجاً للمراقبة في رشيد وعَمَر أسوار الإسكندرية ، وجدد بناء المنار الذي بها [123] ، وشيد سلسلة من المنائر تربط الحدود بالعاصمة لمراقبة تحركات الاعداء ، ولتساعد على سرعة نقل الاخبار وزودها بالمراقبين ، وكانت أدوات لإنذار النار في الليل والدخان في النهار ، فإذا اكتشف المراقبون أن العدو مقبل من البر او البحر ، أشعلوا النار على قمم هذه المنائر اذا كان الوقت ليلاً أو أثاروا فيها الدخان إذا كان الوقت نهاراً وتنقل هذه الإشارات من منارة الى منارة أخرى حتى تصل الى القاهرة [124].

وفي مصر قام بردم مصب النيل عند دمياط بواسطة الصخور الكبيرة لمنع الصليبيين من النزول فيه إذا ما حاولوا إرسال حملة أخرى الى مصر وشيد برجاً للمراقبة في رشيد ، وعمّر أسوار الأسكندرية وجدد المنائر فيها وقام بترميمها [125] .

أما في البريد : فقد وضع نظاماً للبريد ربط به أرجاء دولته براً و بحراً و جواً من خلال قلعة الجبل في القاهرة ، والتي تصدر منها المراسيم السلطانية وتصلها الرسائل والاحكام وتقارير الولاة ، وزود المراكز البريدية بكل ما تحتاجه من أموال ومؤن وخيول ، ويشرف على البريد صاحب (ديوان) الانشاء [126] .

وكانت القلعة مركزاً رئيسياً يتبعها محطات بريدية بين الواحدة والأخرة اثني عشر ميلاً تقريباً ووضعها في أماكن بها ماء او قرى وزودها بالرجال والخيل والعلف [127] ، وكانت القلعة ومحطاتها البريدية قريبة من بعضها البعض ، فاذا وصل ناقل الخبر الى محطة ، بدل فرسه المتعب بآخر مستريح وتزود بما يحتاج إليه حتى أصبح رجل البريد يقطع المسافة من دمشق الى القاهرة في مدة ثلاثة أيام أو العكس [128] .

واستخدام البريد الجوي عبر الحمام الزاجل وله أبراج خاصة بالقلعة ومراكز في انحاء دولته عبر البريد البري ، وهو بريد سريع ومستعجل ينقل رسائل هامة وقصيرة بدون الالقاب والتسميات المعتادة في الرسائل المعروفة بالسلطانية [129] .

المبحث الثالث : السياسة الخارجية لدولة المماليك البحرية في عهد السلطان بيبرس

أولاً : تحالفات بيبرس وعلاقاته الخارجية

ظل الظاهر بيبرس في خشية وترقب من تحركات الصليبيين ومحاولة تكتل الدول الاوربية ضد المماليك ، ولذا عمد الى المحالفات مع الدول الأوربية وحالف ميخائيل الثامن باليولوج[130] امبراطور بيزنطية سنة 660 هـ / 1262 م وكتب إليه يطلب إرسال بطريق يشرف على الملكانيين في دولته ، وحضر فعلاً الرشيد الكحال ومعه عدداً من الاساقفة حضروا الى القسطنطينية وأكرمهم الإمبراطور ، وكان معهم الأمير آقوش المسعودي ، وجدد الامبراطور المسجد الذي يصلي فيه المسلمون من التجار و الصناع و المارين في البلاد في حين جهزه بيبرس بالسجاجيد والقناديل المذهبة وغيرها [131] .

ثم دخل بيبرس في تحالف مع امبراطور الدولة الغربية و صقلية و نابولي مانفرد بن فردريك الثاني هوهنشتاوفن [132] ، وأرسل اليه هدايا منها عدداً من الزرافات وأسرى عين جالوت من التتر وخيولهم وعرباتهم معهم وأعجب الأمبراطور بهذه الهدايا واحسن الى الرسل وأكرمهم ، ويذكر أيضاً ان ملك قشتالة الفونسو العاشر [133] أرسل الى بيبرس هدية من الخيول العربية الأصيلة سنة 659 هـ / 1261 م ، ورد عليه بيبرس بهدية مماثلة من بينها زرافة وسن فيل وتمساح [134] .

وتحالف بيبرس مع خان القبيلة الذهبية أو مغول القفجاق [135] بركة خان [136] وتمتد بلاده من تركستان شرقاً الى شمال البحر الأسود غرباً وعاصمتها مدينة صراي شمال غرب بحر قزوين وتزوج بيبرس ابنة بركة خان ، وتبادل معه الهدايا وأمر بالدعاء له على منابر القاهرة والقدس ومكة والمدينة وكان هذا الحلف موجهاً ضد دولة ايلخانات فارس التي يحكمها هولاكو وأولاده وتشكل فارس والعراق وعاصمتها تبريز [137] ، وقد حالف بيبرس سنة 660 هـ / 1262 م سلاجقة الروم [138] وملكها عز الدين كيكاوس بن كيخسر[139] ووعده بمساعدته ضد أخيه ركن الدين قلج أرسلان [140] ، وضد هولاكو وأطماعه في أسيا الصغرى ، وأرسل بيبرس جنوده الى دمشق و حلب استعداداً لتأييد السلطان عز الدين ضد أخيه ركن الدين وضد المغول وقد جعلت دولة المماليك من هذه التحالفات بمثابة محطة أمنة ضد المغول والصليبيين[141] .

ثانياً : جهود بيبرس في مكافحة الخطر الصليبي

الواقع أن الحقيقة الكبرى التي تواجهنا في نشاط بيبرس الحربي ضد أعداء الوطن الاسلامي في تلك الحقبة هي أنه يصعب وضع خط فاصل بين حروبه ضد التتار وحروبه ضد الصليبيين فكثيراً ما كان بيبرس يخرج على رأس جيوشه من مصر لمحاربة أحد الخصمين فيحارب الآخر ، او يحارب الاثنين معاً ، واذا كنا لاحظنا ان حروب بيبرس ضد التتار امتازت بالقوة والشجاعة والمثابرة فأننا يجب ان نذكر في نفس الوقت ان حروبه ضد الصليبيين كانت أكثر استمراراً وأوسع نطاقاً وأشد عنفاً من حروبه ضد التتار ، لأن الصليبيين كانوا عند قيام دولة المماليك منتشرين في بلاد الشام شمالها وجنوبها ، عن طريق عديد حصونهم ومعاقلهم التي أسسوها داخل البلاد وقرب الساحل ، او عن طريق المدن الشامية التي ظلوا يسيطرون عليها ويتحكمون فيها ، وهكذا صار الاحتكاك بين المسلمين والصليبيين بالشام يمكن ان يكون مباشراً ومتصل الحلقات كما كان سلاطين المماليك أكثر إحساساً بالخطر الصليبي منهم بالخطر التتري الذي لم يحسوا به الا وقت خروج التتار من العراق لمهاجمة أطراف الشام [142] .

وإذا كان الظاهر بيبرس هو الشخصية الكبرى في صدر دولة المماليك البحرية والرجل الذي أراد أن يجعل من نفسه صلاح الدين الثاني ، فإن ذلك دفعه الى ان يضع لنفسه برنامجاً خارجياً ضخماً كانت أبرز أركانه حماية بلاد الشام من خطر التتار والقضاء على الصليبيين وطردهم من الشام [143] .

وقد بدأت هجمات بيبرس على الصليبيين في وقت مبكر ، ففي سنة 659 هـ / 1261 م هاجم بيبرس إمارة انطاكية [144] لعقاب أميرها بوهيموند السادس [145] على محالفته التتار ثم كرر الهجوم عليها في صيف سنة 660 هـ / 1262 م ، وفي تلك المرة حاصر الجيش المملوكي مدينة انطاكية ذاتها وأوشك على الاستيلاء عليها لولا تدخل هيثوم الأول [146] ملك أرمينية الصغرى [147] الذي أستنجد بالمغول ، مما أدى الى جلاء المماليك عن أنطاكية فعادوا ومعهم أكثر من ثلثمائة أسير [148] .

على ان بيبرس رأى قبل أن " يتوجه بكليته إلى الفرنج " على قول المقريزي[149] ، أن يدعم مركزه باتخاذ خطوتين على جانب كبير من الأهمية الاولى هي أحياء الخلافة العباسية في مصر سنة 661 هـ / 1262 م ليظهر سلطنة المماليك في صورة القوة الحامية للخلافة المتمتعة ببيعتها مما يدعم دولته الناشئة ويكسبها أهمية في نظر المسلمين كافة ، والثانية هي محالفة تتار القفجاق – في القوقاز وجنوب روسيا – وهم الذين اعتنقوا الاسلام فأراد بيبرس أن يتخذ منهم عوناً على هولاكو وتتار فارس [150] .

وقد بدأت الحرب الشاملة التي شنها بيبرس على الصليبيين بعدة محاولات من جانبهم لطلب الصلح وببعض مناوشات من جانب بيبرس لسبر غورهم ، حتى إذا ما كانت سنة 663 هـ / 1265 م ، بدأ بيبرس حربهُ الشاملة ضدهم ، ففي اوائل شباط من تلك السنة خرج السلطان بيبرس على رأس جيش ضخم الى غزة [151] فاستولى على قيسارية [152] ويافا [153] وعثليث[154] وأرسوف [155] التي استسلمت بعد مقاومة شديدة أبدتها حاميتها من الاسبتارية[156] .

وبعد استيلاء بيبرس على أرسوف جاء دور عكا [157] ، ولكن هيو الثالث [158] الوصي على عرش قبرص [159] قام عندئذ بالوصاية على عكا أيضاً ، فحضر على رأس جيش قوي من جزيرة قبرص في سنة 663 هـ/ 1265 م للدفاع عن عكا ، مما جعل بيبرس ينصرف الى مصر [160] .

ثم عاد بيبرس في العام التالي 664 هـ / 1266 م لاستئناف الحرب ضد الصليبيين فبدأ بمهاجمة عكا ، ولما وجدها قوية التحصين أنصرف الى قلعة القرين[161] فوجدها هي الأخرى صعبة المنال ، فقصد صفد [162] واستولى عليها في صيف 664 هـ / 1266 م ، وبعدها استسلمت هونين [163] وتبنين [164] ومدينة الرملة [165] ، وبعد ذلك أستولى بيبرس على بعض المراكز القريبة من طرابلس [166] .

ولم ينس السلطان بيبرس لأرمينية الصغرى موقفها وموقف ملكها هيثوم الأول في مؤازرة التتار وحثهم على غزو الشام سنة 657 – 658 هـ / 1259 – 1260 م ، لذلك أرسل بيبرس جيشاً كبيراً في صيف 1266م تحت قيادة قلاوون والملك المنصور الثاني الأيوبي [167] صاحب حماة [168] لمهاجمة أرمينية الصغرى ، واستطاع المماليك أن ينزلوا هزيمة كبرى بالأرمن وحلفائهم قرب دربساك[169] في سنة 664 هـ / 1266 م ، وقد قتل في الموقعة أحد ابناء هيثوم وأسر ابنه الثاني في حين كان هيثوم نفسه متغيباً عن بلاده في تبريز يستجدي مساعدة التتار[170] وبعد ان أغار المماليك على مدن أرمينية الرئيسية – وهي أذنة[171] والمصيصة [172] وطرسوس[173] وأشعلوا النار في عاصمتها سيس [174] ، عادوا ومعهم قدر كبير من الغنائم وعدد ضخم من الاسرى [175] .

ويبدو ان السلطان الظاهر بيبرس استغل فرصة الخلافات الداخلية بين الصليبين وأغار على منطقة طبرية[176] وعكا سنة 665 هـ/ 1267 م كما استولى على يافا والشقيف أرنون[177] في العام التالي [178] ، أخيراً توج بيبرس أعماله الحربية ضد الصليبيين بالاستيلاء على انطاكية[179] التي سقطت بيد المماليك سنة 666 هـ / 1268 م [180] .

ولا تخفى علينا أهمية سقوط انطاكية بالذات في قبضة المسلمين سنة 666هـ / 1268 م ، إذ كانت ثاني إمارة – بعد الرها – اسسها الصليبيون في الشرق سنة 490 هـ/ 1097 م ، فجاء استيلاء المسلمين عليها دليلاً جديداً على انهيار ذلك البناء الضخم الذي أقامه الصليبيون في الشام في أواخر القرن الحادي عشر الميلادي [181] .

وفي سنة 667 هـ / 1269 م توج هيو الثالث ملك قبرص ملكاً على مملكة بيت المقدس الصليبية فأخذ يعمل على تقوية جبهة الصليبيين بالشام ، ولكن بيبرس لم يحترم الهدنة التي كان يعقدها مع الصليبيين بين حين وآخر ، وانما هاجم أمارة طرابلس سنة 669 هـ / 1271 م واستولى على صافيتا من الداوية ، وعلى حصن الاكراد [182] من الاسبتارية ، وفي طريق عودة بيبرس من طرابلس استولى على حصن القرين – الى الشمال الشرقي من عكا في سنة 669 هـ / 1271 م [183] .

وفي تلك الاثناء كان السلطان بيبرس ناقماً على قبرص لجهود ملكها هيو الثالث في توحيد قوى الصليبيين بالشام من ناحية ولاعتداء القبارصة على السفن الاسلامية في شرق البحر المتوسط من ناحية أخرى ، لذلك أرسل أسطولاً سنة 668 هـ / 1270 م لغزو جزيرة قبرص ولكن ريحاً عاصفة هبت على سفن ذلك الاسطول وحطمت عدداً كبيراً قرب شاطئ الجزيرة ، مما جعل حملة بيبرس تنتهي بالفشل [184] .

وفي سنة 669 هـ / 1271 م وصلت الى عكا حملة صليبية صغيرة ولكنها لم تستطيع أن تفعل شيئاً مذكوراً لمساعدة الصليبيين بالشام مما ادى الى عقد هدنة لمدة عشر سنوات بين الصليبيين من ناحية والسلطان بيبرس من ناحية اخرى ، ولم يستطيع بيبرس ان يظل ساكناً طوال مدة تلك الهدنة وانما قام سنة 673 هـ / 1275 م بغزو مملكة أرمينية الصغرى ، فأغار على المصيصة وسيس وأذنة وطرطوس ، هذا الى أنه أغار على بلاد سلاجقة الروم التي كانت مشمولة بحماية التتار واستطاع أن يمزق الجيش التتري عند أبلستين[185] في سنة 675هـ/ 1277 م ، وهكذا قضى السلطان الظاهر بيبرس حكمه الطويل في جهاد الصليبيين من ناحية والتتار من ناحية أخرى حتى كانت وفاته سنة 675هـ / 1277 م [186] .

ثالثاً : حروب بيبرس ضد المغول

واجهت بيبرس في بداية سلطنته مشكلة مغول فارس التي أستمرت منذ موقعة عين جالوت وارتبط خطرهم مع الصليبيين والتحالف بينهما ضد المماليك في مصر والشام ، ولذلك قرر بيبرس أن يتحالف مع مغول القفجاق وتزوج ابنة قائدهم بركة خان الذي دخل الاسلام وتحول لحرب مغول فارس ، ثم حصن أطراف دولته لمواجهة المغول على نهر الفرات وخاصة قلعة البيرة ، وافسد الطرق المؤدية الى الشام لمنع المغول من الحصول على مؤن لهم إذا ما زحفوا عليه [187] .

ولم تؤد وفاة هولاكو خان التتار في فارس سنة 663هـ / 1265 م الى تهدئة الموقف بين المغول وسلطنة المماليك ، لأن أبغا بن هولاكو[188] كان مسيحياً نسطورياً [189] فتزوج من ابنة الامبراطور البيزنطي ميخائيل باليولوجس [190] ، واهتم بالتحالف مع الصليبيين وتبادل السفارات والهدايا ، والهدف من تلك العلاقات التوجه نحو دولة المماليك والاستيلاء على بيت المقدس ، واستغل أبغا انشغال بيبرس في حروبه مع الفرنجة وأغار على بلاده ، ولكن ابغا من جانب أخر حاول أيجاد وسيلة دبلوماسية لفرض نفوذه على المماليك ، وأرسل الى بيبرس عام 666 هـ / 1268 م يعرض عليه الصلح ويطلب منه الخضوع إليه ولكن بيبرس بطبيعة الحال رفض ذلك [191] .

قرر بيبرس عام 671 هـ / 1272 م ملاحقة المغول وعبر الفرات وانتصر على جيوش المغول وطاردها ، وجلب اليه المناوئين من كبار رجالات المغول ، ولاحق بقاياهم داخل الأراضي الفراتية عبر الحدود العراقية [192] .

ولم يكتف بيبرس بذلك بل قاتل معين الدين سليمان البرواناه [193] حاكم بلاد اسيا الصغرى في الشمال ، فتقدم بيبرس الى اسيا الصغرى ودخل ابلستين عام 675 هـ / 1277 م وقاتل المغول وقتل منهم الكثير ، ثم دخل قيصرية[194] عاصمة سلاجقة الروم وجلس على عرشها واستقبله الناس بحفاوة وترحيب ثم عاد أدراجه الى دياره ، وعندما علم أبغا خان بهزيمة المغول سار الى ارض المعركة ، وقيل انه بكى على اشلاء الجنود ، وأمر بالتنكيل بالناس لاستقبالهم المماليك وقتل البرواناه واعتبره سبباً للكارثة [195] .

رابعاً : السلطان بيبرس ومملكة النوبة

في جنوب مصر واجه بيبرس خطر دولة مسيحية هي مملكة النوبة [196] والتي تبدأ حدودها الشمالية من أسوان [197] وتنتهي جنوباً عند بلاد الحبشة وكانت عاصمتها مدينة دنقلة[198] في أعالي النيل [199] ، وقد اشتدت اعتداءات النوبيين وخاصة في وقت انهماك بيبرس بحروبه ضد الصليبيين والمغول والأرمن فقد هاجم الملك داود [200] ملك النوبة جنوب مصر في عام 671 هـ / 1272 م فنهب أسوان وأسر جماعة من سكانها كما هاجم عيذاب[201] وهي ميناء على البحر الاحمر ، بهدف تهديد التجارة المملوكية في البحر الاحمر وقطع طريق الحج [202] .

ولما فرغ بيبرس من حروبه مع الصليبيين انتهز فرصة خلاف على السلطة بين الملك داود ملك النوبة وعمه شكندة [203] الملك المعزول فاستنجد شكندة بالظاهر بيبرس فأعد بيبرس حملة عسكرية لأعادة الملك المعزول شكندة وعزل داود وتنصيبه مكانه فاخترقت الحملة مناطق الشلالات وهاجمت القلاع والقرى فهزمت داود وتم أسره ونصب الملك شكندة ملكاً على بلاد النوبة مقابل أرساله الجزية السنوية المقررة سلفاً لمصر والمسلمين بالإضافة الى بعض الهدايا على أن يقوم بيبرس سلطان مصر المملوكي بأرسال الغلات الى النوبيين ويستولي شكندة على اموال ابن اخيه داود الملك السابق ويرسلها الى مصر ، وتصبح السيادة للمماليك على الجزء الشمالي من بلاد النوبة وإطلاق سراح الأسرى المسلمين الذين أسرهم الملك داود [204] .

خامساً : وفاة السلطان الظاهر بيبرس

في يوم الخميس الثامن والعشرين من المحرم سنة 676 هـ (أخر حزيران عام 1277م) توفي السلطان الظاهر واخفي موته لئلا تضطرب الأحوال بالبلاد ويطمع فيها العدو ، واتفق الرأي على نقله الى القلعة بدمشق سراً ثم كتب الأمير بدر الدين بيليك الخازندار[205] بذلك الى الملك السعيد [206] بمصر ، فلما وصل اليه الخبر أخفى نبأ وفاة أبيه ، فأمر السعيد بدفن والده في دار العقيقي بعد ان أشتراها بثمانية وأربعين ألف درهم وجعلها مدرسة للشافعية والحنفية[207] ، وأختلفت الروايات بصدد سبب وفاته وتعددت بتعدد المصادر ففي رواية أن بيبرس توفي متأثراً بجراحه التي أصيب بها في حملته الأخيرة على بلاد الاناضول [208] ، ويشير بعض المؤرخين أنه أفرط في تناول شراب القمز ، وهو الشراب المتخذ من لبن الفرس بعد تخميره ، غير أن الرواية المشهورة هي أنه أعدَّ شراباً مسموماً من القمز ليقدمه للقاهر بهاء الدين الأيوبي [209] أمير الكرك الذي أهانه أهانة شديدة ، بهدف التخلص منه وإذ لم يحفل الساقي بتنظيف الكأس ، شرب السلطان منها ، فمات مسموماً [210] .

الخاتمة

تبين لنا من خلال هذه الدراسة أن السلطان الظاهر بيبرس هو المؤسس الحقيقي لدولة المماليك البحرية في مصر وبلاد الشام لأنه استطاع ان يحول هذه السلطنة من دولة فتية ناشئة الى دولة قوية مدعمة الأركان أذ أتخذ جملة إجراءات سياسية وادارية وعسكرية كان الهدف منها تقوية الدولة وتوطيد السلطة وأضاف عوامل جديدة لا يستطيع القيام بها إلا حاكم موهوب قوي العزم .

فالظاهر بيبرس منذ توليه السلطنة وضع لنفسه سياسة واسعة الافق استهدفت في الخارج صد اخطار المغول والصليبيين عن بلاد الشام ومصر ونشر نفوذه على شبه جزيرة العرب وبلاد النوبة ، وفي الداخل توطيد الأمن والقضاء على الثوار والمناوئين وتخفيف الاعباء الملقاة على كواهل الأهالي ، ثم وضع قواعد النظام الإداري في مصر والشام ، وقام بقدر ضخم من الإصلاحات المتنوعة شملت جوانب الدولة كافة .

ففي الجانب السياسي أتخذ خطوات هامة في تقوية وتدعيم نظام الحكم المملوكي فقد قام بيبرس بأحياء الخلافة العباسية في القاهرة التي أضفت طابعاً من الشرعية على السلطنة المملوكية وجعلت لها شيئاً من النفوذ والزعامة على البلاد الاسلامية ، ويتجلى ذكاء بيبرس بوضوح بابتكاره نظام فصل السلطتين المدنية الدنيوية عن السلطة الدينية الروحية فأصبح الخليفة العباسي ذو سلطة رمزية شكلية فقط بينما السلطة الفعلية الحقيقية بيد سلاطين المماليك واصبح هذا الأجراء سابقة سياسية سار عليها كل سلاطين المماليك الذين خلفوه ، وأراد بيبرس ان يجنب الدولة الخضات السياسية التي تنجم عن الصراع على الحكم والسلطة فأراد ان يؤسس نظام ثابت الأركان فتبنى مبدأ الوراثة في الحكم .

وفي الجانب الاداري عمل على تطوير الجهاز الاداري الحكومي ليواكب تطور وتوسع الدولة المملوكية ، وأعتمد في ادارة شؤون الدولة وولاياتها على التحرك بسرية تامة إذ كان يتفقد أحوال الرعية والبلاد وامراء الجهات والاطراف دون أن يشعر به أحد حيث قضي بيبرس حكمه في حركة دائبة بين مصر والشام يصلح ويجاهد ، في الوقت نفسه قام بتعديل النظام القضائي حيث جعل القضاة من المذاهب الأربعة بعد أن كان منصب القضاء مقتصراً على المذهب الشافعي وسن قوانين جديدة .

أما في الجانب العسكري فقد عمل على تقوية الجيش وتطويره والتوسع في التجنيد وتشجيع الخدمة العسكرية بواسطة توزيع الاقطاعات بكثرة ، ويعد مؤسس الاسطول المملوكي إذ أهتم بدور صناعة السفن وجهزها بالمعدات والاخشاب ، وعمل على تحصين الاطراف والثغور ووضع نظام للبريد ربط به ارجاء دولته براً وبحراً وجواً لكي يضمن سرعة وصول الأخبار الى مركز الحكم وذلك لأن الدولة المملوكية كانت في صراع دائم ومستمر ضد المغول والصليبيين لكي تحافظ على كيانها ووجودها أمام الاخطار الخارجية .

ومن ناحية السياسة الخارجية يمكن اعتبار بيبرس شخصية سياسية بارعة ومحنكة وفطنة إذ أتخذ أسلوب المناورة السياسية في مجابهة مغول فارس والفرنجة الصليبيين ، فهو يحالف مغول القفجاق ليتخذ منهم سنداً في مواجهة مغول فارس ، ويحالف الدولة البيزنطية ليجعل منها عضداً له في سياسته ضد الصليبيين في بلاد الشام وهذه الخطوات تدل على ذكاء متوقد ومهارة دبلوماسية فائقة .

و في الحروب التي خاضها ضد التتار والصليبيين تمكن من تحقيق الكثير من الانتصارات التي أعطت قوة وتماسكاً للحكم المملوكي وفرضت هيبة دولة المماليك البحرية على الدول المعاصرة لها .

وزبدة القول أن الظاهر بيبرس يعد من أعظم سلاطين المماليك وذلك لأن منجزاته السياسية والادارية والعسكرية خلال مدة حكمه التي استمرت سبعة عشر سنة (1260-1277م) وهي – مدة طويلة نسبياً – أعطت قوة وتماسكاً للسلطنة المملوكية وحولت دولة المماليك الناشئة الى دولة قوية متينة الأركان حازت على اعتراف الدول والأمارات والممالك المعاصرة لها بمكانتها السياسية والعسكرية ويعد بيبرس طبقاً لذلك المؤسس الحقيقي للسلطنة ومن ألمع الشخصيات التي حكمت مصر خلال حقبة حكم المماليك البحرية التي دامت ما يقرب من مائة وست وثلاثين سنة .

الهوامش :

[1] انطاكية : مدينة هي قصبة العواصم من الثغور الشامية ، من أعيان البلاد وأمهاتها ، تقع على الضفة اليسرى لنهر العاصي على بعد ثلاثين كيلومتر من شاطئ البحر المتوسط . ينظر: الحموي ، ياقوت بن عبد الله (ت 626 هـ /1228م) ، معجم البلدان ، (بيروت : دار صادر ، 1397 هـ / 1977 م)، ج 1 ، ص 266 ؛ البغدادي ، عبد المؤمن بن عبد الحق (ت 739 هـ / 1339 م) ، مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ، تح : علي محمد البجاوي ، ط1(بيروت : دار الجيل ، 1412 هـ / 1992م) ، مج1 ، ص124 – 125.

[2] الرها : مدينة بالجزيرة بين الموصل والشام ، أغلب أهلها من النصارى ، تقع عند منابع أحد روافد نهر البليخ العليا ، في أقصى الغرب من الجزيرة الفراتية . ينظر : الحموي ، معجم البلدان ، م 3 ، ص106 ؛ ابن شداد ، عز الدين محمد بن علي (ت 681 هـ / 1285 م) ، الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة ، تحقيق : يحيى زكريا عمارة ، (دمشق : وزارة الثقافة والأرشاد القومي ، 1978م) ، ج 3 ، ق1 ، ص 83 – 86 ؛ ليسترنج ، كي ، بلدان الخلافة الشرقية ، ترجمة : بشير فرنسيس وكوركيس عواد ، ط1 (بغداد : مطبعة الرابطة ، 1954م) ، ص134 - 135 ؛ هونكمان ، " مادة الرها " ، دائرة المعارف الاسلامية ، يصدرها باللغة العربية : أحمد الشنتاوي وإبراهيم زكي خورشيد وعبد الحميد يونس ، مراجعة : محمد مهدي علام ،(القاهرة : د.مط ، 1933 م) ، مج 10 ، ص 266 – 280 .

[3] أبن تغري بردي ، أبي المحاسن يوسف الأتابكي (ت 847 هـ / 1469م) ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، تحقيق : محمد حسين ، ط 1 (بيروت : دار الكتب العلمية ،1413 هـ / 1992 م) ، ج7 ، ص 94 ؛ طقوش ، محمد سهيل ، تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام ، ط1 ، (القاهرة : دار النفائس ، 1418 هـ / 1998م) ، ص 87 .

[4] موير ، وليم ، تاريخ دولة المماليك في مصر ، ترجمة : محمود عابدين وسليم حسن ، ط1 (القاهرة : مكتبة مدبولي ، 1415 هـ / 1995 م) ، ص 59 .

[5] القبجاق : وتشمل البلاد الواقعة بين نهر إرتش والسواحل الجنوبية لبحر قزوين ، وغالب سكانها الأتراك والتركمان . المقريزي ، تقي الدين احمد بن علي (ت845 هـ / 1441 م) ، السلوك لمعرفة دول الملوك ، تح : محمد مصطفى زيادة ،(القاهرة : د. مط ، 1941) ، ج 1 ، ص394 – 395 ، هامش (4) ؛ طقوش ، تاريخ المماليك ، ص 74 ، هامش (2) .

[6] أبن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج 7 ، ص 94 .

[7] لم نعثر على ترجمته .

[8] هو الملك الصالح نجم الدين أيوب أبو الفتوح بن الملك الكامل ناصر الدين محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب بن شادي الايوبي سلطان الديار المصرية ، وأمه جارية سوداء أسمها "وردي المنى " ، ولد في القاهرة سنة 603 هـ / 1206 م ، وتوفي بناحية المنصورة سنة 647 هـ / 1260 م ، كان مهيباً عزيز النفس ، وقوراً ، كثير الصمت ، ذا سطوة وعظمة . ينظر : الذهبي ، محمد بن أحمد (ت 748 هـ /1347م) ، سير أعلام النبلاء ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط ، ط 3 (بيروت : مؤسسة الرسالة ، 1402هـ / 1982 م) ، ج 20 ، ص 224 – 225 ؛ أبن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج 6 ، ص 319 ؛ مؤلف مجهول من القرن الثامن الهجري ، كتاب الحوادث ، تح : بشار عواد معروف و عماد عبد السلام رؤوف ، ط1 (بيروت : دار الغرب الإسلامي ، 1997) ، ص 290 ؛ ابن العماد ، أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد الحنبلي (ت 1089 هـ / 1678 م) ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، تحقيق : عبد القادر الأرناؤوط ومحمود الأرناؤوط ، ط1 (بيروت : دار أبن كثير ، 1413 هـ / 1992 م) ، ج 5 ، ص 237 .

[9] المنصورة : بلدة تقع على الدلتا المصرية أنشأها الملك الكامل ابن الملك العادل بن أيوب بين دمياط والقاهرة . الحموي ، معجم البلدان ، ج 5 ، ص 212.

[10] هو الملك المعظم غياث الدين تورانشاه بن الملك الصالح نجم الدين ايوب ، الملك التاسع من ملوك بني أيوب في مصر ، قتل من قبل المماليك سنة 648 هـ / 1250 م ولم يتجاوز الثلاثين عاماً . ينظر : العيني ، بدر الدين محمود ، عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان ، تح : محمد محمد أمين ، (القاهرة : الهيئة المصرية للكتاب ، 1998 م) ، ج 2 ، ص 23 ؛ الدواداري ، ابو بكر عبد الله بن ايبك ، كنز الدرر وجامع الغرر ، تح : سعيد عبد الفتاح عاشور ، (القاهرة : دار احياء الكتب العربية ، 1972م) ، ج7 ، ص 314 ، 383 ؛ مؤلف مجهول ، الحوادث ، ص290 – 291 .

[11] عين جالوت : بُليدة بين بيسان و نابلس من أعمال فلسطين . الحموي ، معجم البلدان ، ج4 ، ص 177 .

[12] بيسان : مدينة بالأردن بالغور الشامي ، ويقال هي لسان الأرض ، تقع بين حوران وفلسطين . الحموي ، معجم البلدان ، ج 1 ، ص 527 .
[13] سيف الدين قطز بن عبد الله المعزي ، وهو من مماليك الملك المعز أيبك وعين نائب للسلطنة زمن المنصور ابن المعز أيبك ، روي أن أسمه محمود بن ممدود ، وأنه ابن أخت خوارزم شاه جلال الدين ، عرفت عنه الشجاعة والإقدام في الحروب ، كسر المغول في عين جالوت ودحر قواتهم ، لكنه لم يهنأ بهذا النصر فقد قتل وهو في طريقه للقاهرة في 16 ذي القعدة سنة 658 هـ / 1259 م . الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج 23 ، ص 200 – 201 .
[14] سليم ، محمود رزق ، عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي ، ط 2 (د.م: د. مط ، 1381 هـ / 1962 م) ، مج 1 ، ص 26 .
[15] موير ، تاريخ دولة المماليك في مصر ، ص 47 .
[16] هو أقطاي بن عبد الله الجمدار ، الأمير فارس الدين الصالحي النجمي التركي ، أحد أركان فرقة المماليك البحرية ، كان له دور فعال في كثير من الأحداث والصراعات والمؤامرات التي رافقت نشوء دولة المماليك البحرية ، قتل في قلعة الجبل بالقاهرة سنة 652 هـ / 1254م . لمزيد من التفاصيل ينظر : المقريزي ، السلوك ، ج 2 ، ص 390 ؛ الدواداري ، كنز الدرر ، ج8 ، ص 26 ؛ القلقشندي ، أحمد بن علي (ت 821 هـ/1418 م) ، صبح الاعشى في صناعة الانشا ، (القاهرة : المطبعة الأميرية ، 1333هـ/ 1915 م) ، ج 5 ، ص 435 ؛ محمد ، سالم يونس ، أقطاي أمير المماليك البحرية ، مجلة التربية والعلم ، مج 16 ، العدد (3) ، (الموصل ، 2009) ، ص 80 – 97 .
[17] هو الملك المعز عز الدنيا و الدين أيبك التركماني الصالحي الجاشنكير ، وهو من مماليك الصالح نجم الدين أيوب ، وصف بالعقل والدين والكرم ، تولى ملك مصر في ربيع الآخر سنة 648 هـ / 1250 م ، وتوفي سنة 655 هـ / 1257 م بتدبير من زوجته شجرة الدر . الصفدي ، خليل بن أيبك (ت 764 هـ / 1362 م) ، الوافي بالوفيات ، تحقيق : أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى ، ط1 (بيروت : دار أحياء التراث العربي ، 1420 هـ / 2000 م) ، ج 9 ، ص 263 – 266 ؛ الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج 23 ، ص198 ؛ ابن العماد ، شذرات الذهب ، ج 5 ، ص 268 .
[18] سليم ، عصر سلاطين المماليك ، مج 1 ، ص26 .
[19] هولاكو بن تولوخان بن جنكيز خان ، ولد في عام 664 هـ / 1217م توفي سنة 663هـ / 1265 م ، بالقرب من كورة مراغة . ينظر : ابن الفوطي ، كمال الدين عبد الرزاق بن تاج الدين أحمد (ت 723 هـ / 1323 م) ، الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة ، (بيروت : د . مط ، 1407 هـ / 1987 م) ، ص 170 .
[20] طقوش ، تاريخ المماليك ، ص 67 – 68 .
[21] عاشور ، فايد حماد ، العلاقات السياسية بين المماليك والمغول في الدولة المملوكية الاولى ، تقديم : جوزيف نسيم ، (القاهرة : دار المعارف ، 1975م) ، ص 51 .
[22] طقوش ، تاريخ المماليك ، ص 77 ، 79 .
[23] عاشور ، العلاقات السياسية بين المماليك والمغول ، ص 51 .
[24] المقريزي ، السلوك ، ج 1 ، ص 430 .
[25] أبن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج 7 ، ص 79 .
[26] كتبغا نوين هو صهر هولاكو من قبيلة النايمان ، وكان يعتمد عليه هولاكو كثيراً ، ويكتب إسمه (كتبوغا او كيتوبوقا) ، وكان مسيحياً نسطوري المذهب ، وكان نائباً لهولاكو في بلاد الشام بعد رحيله . ينظر : ابن كثير ، أسماعيل بن عمر القرشي (ت 774 هـ /1275 م) ، البداية والنهاية ، تحقيق : عبدالله عبد المحسن التركي ، ط1 (القاهرة : دار هجر ، 1419 هـ/1998م) ، ج 12 ، ص 226 .
[27] المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ص 434 .
[28] نيابة حلب : وتأتي في المرتبة الثانية من حيث الأهمية بين نيابات السلطنة المملوكية في بلاد الشام بعد نيابة دمشق ، وحلب مدينة عظيمة واسعة كثيرة الخيرات ، وهي قصبة جند قنسرين . الحموي ، معجم البلدان ، ج 2 ، ص 282 ؛ القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج 4 ، ص 223 .
[29] أبن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج 7 ، ص 101 .
[30] عاشور ، سعيد عبد الفتاح ، العصر المماليكي في مصر والشام ، (القاهرة : دار النهضة العربية ، 1960 م) ، ص 38 .
[31] سليمان ، أحمد عبد الكريم ، المغول والمماليك حتى نهاية عصر الظاهر بيبرس ، ط1 (القاهرة : دار النهضة العربية ، 1405 هـ / 1984 م) ، ص73 .
[32] عاشور ، العصر المماليكي ، ص 39 ؛ طقوش ، تاريخ المماليك ، ص 83 .
[33] الكتبي ، محمد بن شاكر(ت 764 هـ / 1362 م) ، فوات الوفيات ، (القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، د.ت) ، ج 1 ، ص 161 ؛ عاشور ، العصر المماليكي ، ص 39 ؛ سليمان ، المغول والمماليك ، ص 75 .
[34] عاشور ، العلاقات السياسية بين المماليك والمغول ، ص 59 .
[35] النويري ، شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب (ت 732 هـ / 1331 م) ، نهاية الأرب في فنون الأدب ، تح : محمد ضياء الدين الريس ، (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1963 م) ، ج29 ، ص477– 478 ؛ عاشور ، العصر المماليكي ، ص 39 .

[36] الهاشمي ، عبد المنعم ، موسوعة تاريخ العرب (عصر المماليك والعثمانيون) ، (بيروت : دار البحار ، 2006) ، ص 42 ؛ طقوش ، تاريخ المماليك ، ص83 .
[37] طقوش ، تاريخ المماليك ، ص87 ؛ عاشور ، العصر المماليكي ، ص 39 .
[38] هو فارس الدين أقطاي بن عبد الله الأتابكي المعروف بالمستعرب الصالحي النجمي ، كان من اكابر الامراء واعيانهم ، توفي سنة 672 هـ / 1273 م . أبن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج 7 ، ص 210 .
[39] الهاشمي ، موسوعة تاريخ العرب ، ص 42 .
[40] خوند : كلمة تفيد معنى الاحترام . طقوش ، تاريخ المماليك ، ص87 .
[41] المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ص 436 .
[42] عاشور ، فايد حماد ، الجهاد الاسلامي ضد الصليبيين والمغول في العصر المملوكي ، ط1 (طرابلس : د. مط ، 1415 هـ/ 1995 م) ، ص 261 .
[43] طقوش ، تاريخ المماليك ، ص87 ؛ الهاشمي ، موسوعة تاريخ العرب ، ص 42 .
[44] المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ص 437 .
[45] هو أبو يوسف يعقوب بن عبد الرفيع القرشي الزبيري الملقب بالصاحب زين الدين ، استوزره الملك المظفر قطز ، ثم الملك الظاهر بيبرس في اوائل دولته وعزل ، فلزم بيته الى أن مات بالقاهرة سنة 668 هـ / 1270 م . أبن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج 7 ، ص93 ؛ الزركلي ، خير الدين ، الأعلام ، ط16 (بيروت : دار العلم للملايين ، 2005 م) ، ج 8 ، ص 200 .
[46] عاشور ، الجهاد الاسلامي ضد الصليبيين والمغول ، ص 261 .
[47] النويري ، نهاية الأرب ، تح محمد عبد الهادي شعيرة ،(القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1990 م) ، ج 30 ، ص 14 ؛ الهاشمي ، موسوعة تاريخ العرب ، ص44 ؛ طقوش ، تاريخ المماليك ، ص88 .
[48] القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج 5 ، ص 434 .
[49] طقوش ، تاريخ المماليك ، ص88 ؛ الهاشمي ، موسوعة تاريخ العرب ، ص 44 .
[50] أبن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج 1 ، ص 303.
[51] ابن عبد الظاهر ، محيي الدين عبد الله (ت 692 هـ / 1293 م) ، الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر ، تح : عبد العزيز الخويطر ، ط2 (الرياض : د. مط ، 1976 م) ، ص71 ؛ الهاشمي ، موسوعة تاريخ العرب ، ص 45 .
[52] الهاشمي ، موسوعة تاريخ العرب ، ص 45 .
[53] طقوش ، تاريخ المماليك ، ص90 – 91 .
[54] المرجع نفسه ، ص 90 ؛ سليمان ، المغول والمماليك ، ص 76 .
[55] الهاشمي ، موسوعة تاريخ العرب ، ص 45 .
[56] المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ص 440 .
[57] لم نعثر على ترجمته .
[58] النويري ، نهاية الأرب ، ج 3 ، ص 39 ؛ طقوش ، تاريخ المماليك ، ص 91 .
[59] لم نعثر على ترجمته .
[60] كوران : بلدة في نواحي نيسابور على منتصف الطريق من جرجان . الحموي ، معجم البلدان ، ج 1 ، ص 177 ، ج 4 ، ص 489 .
[61] المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ص 440 ؛ طقوش ، تاريخ المماليك ، ص 91 .
[62] هو فتح الدين أبو الفتح عمر بن الملك الفائز أبي إسحاق إبراهيم بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب ، حدث بالإجازة عن أبي الروح عبد العزيز بن محمد الهروي ، مات في 27 من ذي الحجة سنة 662 هـ / 1263 م مسجوناً بخزانة البنود بالقاهرة . العيني ، عقد الجمان ، ج2 ، ص 110 – 111 ؛ ابن العماد ، شذرات الذهب ، ج 5 ، ص 310 .
[63] الكرك : اسم لمعقل حصين يقع في أطراف بلاد الشام ، بين أيلة وبحر القلزم وبيت المقدس ، شيده الصليبيون في سنة 537 هـ / 1142 م ، فوق قمة جبل شاهق تحيط به الاودية من ثلاث جهات . الحموي ، معجم البلدان ، ج 4 ، ص 453 .
[64] الزيدي ، مفيد كاصد ، موسوعة التاريخ الاسلامي – العصر المماليكي – (648 – 923 هـ / 1258 – 1517 م) ، (عمان : د. مط ، 2006 م) ، ص 32 .
[65] غوانمة ، يوسف حسن درويش ، أمارة الكرك الأيوبية ، ط2 (عمان : دار الفكر ، 1402 هـ / 1982 م) ، ص 311 .
[66] الحاكم بأمر الله أحمد بن أبي علي الحسن بن أبي بكر بن الحسن بن علي بن الخليفة المسترشد بالله ثاني خلفاء بني العباس في مصر بويع سنة 660 هـ / 1261 م ، مات سنة 701 هـ / 1301 م . السيوطي ، عبد الرحمن بن الكمال (ت 911 هـ / 1505م) ، تاريخ الخلفاء ، تحقيق : رضوان جامع رضوان ، ط1 (القاهرة : مؤسسة المختار ، 1425 هـ / 2004 م) ، ص513 – 518.
[67] أحمد بن محمد بن ابراهيم بن إبي بكر بن خلكان الشافعي ، ولد سنة 608 هـ / 1211 م تولى قضاء قضاة دمشق ، ونظر الاوقاف والبيمارستان ودرس بعدد من مدارس بلاد الشام منها العذراوية والعادلية ، والناصرية وغيرها ، ألف تاريخاً سماه " وفيات الاعيان " ، كان عالماً واديباً ومؤرخاً يكتب الشعر والنثر توفي سنة 681 هـ / 1282 م . ينظر : المقريزي ، تقي الدين أحمد بن علي (ت 845 هـ / 1441 م) ، المقفى الكبير ، تح :محمد اليعلاوي ، ط 2 (بيروت : دار الغرب الإسلامي ،

1427هـ/ 2006 م) ، ج1 ، ص 376 – 378 ؛ عريكيز ، جمال محمد سالم ، فقهاء الشام في مواجهة الغزو الصليبي ، ط1 (القاهرة : عين للدراسات والبحوث ، 1427 هـ / 2006 م) ، ص 215 .

[68] الزيدي ، موسوعة التاريخ الاسلامي ، ص 32 – 33 .

[69] المستنصر بالله أحمد أبو القاسم بن الظاهر بأمر الله أبي نصر محمد بن الناصر لدين الله أحمد ، بويع له بالخلافة في مصر سنة 659 هـ/1260 م ، وقتل سنة 660 هـ / 1261م. الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج 23 ، ص 168 ؛ السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ص 511 – 512 .

[70] عاشور ، الجهاد الاسلامي ضد الصليبيين والمغول ، ص 267 .

[71] السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ص 511 .

[72] المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ص 448 ؛ طقوش ، تاريخ المماليك ، ص94 ؛ الهاشمي ، موسوعة تاريخ العرب ، ص 47 .

[73] أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن بن محمد بن مهذب السلمي الدمشقي ، مغربي الأصل شيخ الشافعية ، ولد في دمشق عام 577 هـ /1181م، فقيه ومفسر ومحدث شافعي المذهب ، أشعري العقيدة ، قرأ الفقه على ابن عساكر وسمع وروى عنه الكثير ، لقب بـ " عز الدين " و " سلطان العلماء " و " بائع الملوك" . ينظر : السبكي ، تاج الدين عبد الوهاب بن علي (771 هـ / 1369م) ، طبقات الشافعية الكبرى ، تحقيق : مصطفى عبد القادر ، ط 1 (بيروت : دار الكتب العلمية ، 1420 هـ / 1999 م) ، ج 8، ص209 ؛ ابن حجر ، شهاب الدين أحمد بن علي الكناني العسقلاني (ت852هـ/1448م) ، رفع الإصر عن قضاة مصر ، تح : علي محمد عمر ، ط1 (القاهرة : مكتبة الخانجي ، 1418 هـ / 1998 م) ، ج1 ، ص 239.

[74] ابن عبد الظاهر ، الروض الزاهر ، ص 99 – 100 ؛ المنصوري ، بيبرس الدوادار ، التحفة الملوكية في الدولة التركية ، تح : عبد الحميد صالح حمدان ، ط 1 (بيروت : الدار المصرية – اللبنانية ، 1987 م) ، ص47 ؛ الهاشمي ، موسوعة تاريخ العرب ، ص47 .

[75] ابن عبد الظاهر ، الروض الزاهر ، ص 100 ؛ الهاشمي ، موسوعة تاريخ العرب ، ص47 .

[76] هيت : وهي بلدة على الفرات من نواحي بغداد فوق الأنبار ذات نخل كثير وخيرات واسعة. الحموي ، معجم البلدان ، ج 5 ، ص 421 .

[77] ابن كثير ، البداية والنهاية ،ج 13 ، ص 233 .

[78] المنصوري ، التحفة الملوكية ، ص 49 ؛ قاسم ، قاسم عبده وعلي السيد علي ، الأيوبيون والمماليك (التاريخ السياسي والعسكري) ، (القاهرة : عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية ، د.ت) ، ص 152 .

[79] ابن كثير ، البداية والنهاية ،ج 13 ، ص 233 ؛ المنصوري ، التحفة الملوكية ، ص49.

[80] المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ص 477 ؛ المنصوري ، التحفة الملوكية ، ص51 ؛ طقوش ، تاريخ المماليك ، ص97 .

[81] عاشور ، سعيد عبد الفتاح ، مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك ، (بيروت : دار النهضة العربية ، 1972 م) ، ص 195 ؛ طقوش ، تاريخ المماليك ، ص97 ؛ الهاشمي ، موسوعة تاريخ العرب ، ص47 .

[82] طقوش ، تاريخ المماليك ، ص97 .

[83] قاسم وعلي ، الأيوبيون والمماليك ، ص 152 ؛ طقوش ، تاريخ المماليك ، ص 92 .

[84] عاشور ، العصر المماليكي ، ص 41 .

[85] طقوش ، تاريخ المماليك ، ص150 .

[86] المرجع نفسه ، ص 150 .

[87] الخاقان : لقب لكل ملك من ملوك التُّرك ، والجمع : خواقين ، وهو لقب اطلقه المغول على الرئيس الاعلى لدولتهم ومعناه (الخان الأعظم) . ينظر : النسوي ، محمد بن أحمد (ت639هـ/1241م) ، سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي ، تح : حافظ أحمد حمدي ، (القاهرة: : مطبعة الاعتماد ، 1953 م) ، ص 38 ، هامش 5 .

[88] طقوش ، تاريخ المماليك ، ص151 .

[89] القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج 4 ، ص 19 .

[90] طقوش ، تاريخ المماليك ، ص151 .

[91] القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج 4 ، ص 19 .

[92] أمراء المئين : هم الطبقة الاولى من الامراء المماليك ، ويطلق عليهم اسم امراء المئين ومقدمي الالوف ، ويقوم في خدمتهم مئة فارس يكونون في خدمة جيش السلطان إذا ما دق نفير الحرب ، ويمثل هؤلاء الوظائف السياسية العليا في السلطنة المملوكية . ينظر : مصطفى ، نهلة أنيس محمد ، اولاد الناس بمجتمع عصر سلاطين المماليك ، دورية كان التاريخية ،(الكويت : دار ناشري للنشر الالكتروني ، سبتمبر 2009 م) ، ص 94 .
http:// www. Historicalkan . co .nr

[93] طقوش ، تاريخ المماليك ، ص151 .

[94] المرجع نفسه ، ص 151 .

[95] القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج 5 ، ص 427.

[96] طقوش ، تاريخ المماليك ، ص151 .

[97] القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج 5 ، ص 433.
[98] طقوش ، تاريخ المماليك ، ص152 .
[99] القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج 5 ، ص 428.
[100] طقوش ، تاريخ المماليك ، ص152 .
[101] عبد الوهاب بن أبي القاسم خلف بن أبي الثناء محمود بن بدر العلامي تاج الدين المعروف بأبن بنت الأعز من قبيلة لخم ، ولد سنة 604 هـ / 1207 م ، توفي أبوه وهو صغير وتربى في حجر جده لأمه الصاحب فخر الدين بن مقدام الملقب بالأعز ولذلك سمي ابن بنت الأعز . ينظر : أبن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج 7 ، ص 222 ؛ ابن حجر ، رفع الأصر عن قضاة مصر ، ج 2 ، ص 375 .
[102] لم نعثر على ترجمته .
[103] طقوش ، تاريخ المماليك ، ص152 .
[104] صدر الدين سليمان بن أبي العز وهيب الأذرعي ثم الدمشقي شيخ الحنفية في عصره ومن انتهت اليه رئاسة المذهب في زمانه ت 677 هـ /1278 م ، تولى قضاء مصر والشام . ابن العماد ، شذرات الذهب ، ج 5 ، ص 357 .
[105] لم نعثر على ترجمته .
[106] النويري ، نهاية الأرب ، ج 3 ، ص 117 .
[107] المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ص 553 .
[108] ينظر : المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ص 466 ؛ ابن عبد الظاهر ، الروض الزاهر ، ص89 – 93 ؛ طقوش ، تاريخ المماليك ، ص153 – 154 .
[109] الهاشمي ، موسوعة تاريخ العرب ، ص 48 - 49 .
[110] طقوش ، تاريخ المماليك ، ص 99 .
[111] المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ص 500 – 501 .
[112] الزيدي ، موسوعة التاريخ الاسلامي ، ص 35 .
[113] طقوش ، تاريخ المماليك ، ص 101 .
[114] الشواني : وهي من أهم انواع السفن الحربية زمن سلاطين المماليك ، ومفردها " شيني " او " شونة " ، وهي كبيرة الحجم وتمتاز بالطول ، ذات ابراج وقلاع تستعمل للدفاع والهجوم وبحارتها بحدود مئة وخمسون بحار ومزودة بمئة مجداف . ينظر : المغلوث ، سامي عبد الله ، أطلس تاريخ العصر المملوكي ، ط1 (الرياض : مكتبة العبيكان ، 1434هـ/2013م) ، ص271 .
[115] الزيدي ، موسوعة التاريخ الاسلامي ، ص 35 ؛ طقوش ، تاريخ المماليك ، ص101 .
[116] المرجع نفسه ، ص 34 .
[117] حمص : بلد مشهور قديم كبير مسور ، وهي بين دمشق و حلب في نصف الطريق. الحموي ، معجم البلدان ، ج 2 ، ص 302 .
[118] حوران : كورة واسعة من أعمال دمشق من جهة القبلة ، ذات قرى كثيرة ومزارع وحرار ، وقصبتها بصرى . الحموي ، معجم البلدان ، ج 2 ، ص 317 .
[119] الهاشمي ، موسوعة تاريخ العرب ، ص 48 ؛ طقوش ، تاريخ المماليك ، ص 98 .
[120] الزيدي ، موسوعة التاريخ الاسلامي ، ص 34 .
[121] ابن عبد الظاهر، الروض الزاهر ، ص 93 ؛ الهاشمي ، موسوعة تاريخ العرب ، ص48 .
[122] البيرة : وهي قلعة حصينة تقع بالقرب من سميساط بين حلب والثغور الرومية على نهر الفرات . ينظر : الحموي ، معجم البلدان ، ج 1 ، ص 526 ؛ عاشور ، سعيد عبد الفتاح ، مصر و الشام في عصر الايوبيين و المماليك ، (بيروت : دار النهضة العربية ، 1972م) ، ص 184 ؛ طقوش ، تاريخ المماليك ، ص 138 .
[123] طقوش ، تاريخ المماليك ، ص 98 ؛ الزيدي ، موسوعة التاريخ الاسلامي ، ص34.
[124] القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج 4 ، ص 445 – 447.
[125] ابن عبد الظاهر ، الروض الزاهر ، ص 95 ؛ الهاشمي ، موسوعة تاريخ العرب ، ص48 ؛ طقوش ، تاريخ المماليك ، ص 99 .
[126] الزيدي ، موسوعة التاريخ الاسلامي ، ص34 – 35 ؛ طقوش ، تاريخ المماليك ، ص102 .
[127] الهاشمي ، موسوعة تاريخ العرب ، ص 50 – 51 .
[128] " مادة بريد " ، دائرة المعارف الإسلامية ، مج 4 ، ص336 .
[129] الزيدي ، موسوعة التاريخ الاسلامي ، ص 35 ؛ طقوش ، تاريخ المماليك ، ص103 .
[130] هو ميخائيل الثامن باليولوج (1223 – 1282 م) ، كان امبراطور بيزنطياً حكم من سنة 1259 م حتى وفاته سنة 1282 م ، وهو مؤسس سلالة آل باليولوج والتي قدر لها أن تكون آخر الاسر البيزنطية التي تحكم الإمبراطورية البيزنطية ، استطاع استعادة القسطنطينية من اللاتين الذين حكموها منذ عام 1204 م وضم نيقية الى الامبراطورية البيزنطية . ينظر : العريني ، السيد الباز ، المغول ، (القاهرة : دار النهضة العربية ، 1406 هـ / 1986 م) ، ص 281 – 282 .

[131] الزيدي ، موسوعة التاريخ الاسلامي ، ص 33 ؛ طقوش ، تاريخ المماليك ، ص146 ؛ عاشور ، الجهاد الاسلامي ضد الصليبيين والمغول ، ص 137 .
[132] هو مانفرد بن فردريك الثاني امبراطور الدولة الغربية وصقلية ونابولي من سلالة هوهنشتاوفن ، لم نعثر على ترجمة له .
[133] هو الفونسو العاشر المشهور بلقب الحكيم ملك قشتالة وليون (1252 – 1284م) أصغر ابناء فرديناند الثالث وحفيد الامبراطور فيليب السوابي ، مارس سياسة انفتاح على الأدب و الفكر الشرقيين ، ورغم مخاصمته للمسلمين سياسياً ، فقد بلغ الاهتمام بالثقافة الاندلسية والاسلامية في عهده ذروته . ينظر : بروفنسال ، ليفي ، الاسلام في المغرب والاندلس ، ترجمة : محمد عبد العزيز سالم ومحمد صلاح الدين حلمي ، مراجعة : لطفي عبد البديع ، (القاهرة : دار نهضة مصر ، د.ت) ، ص 120 ؛ شعبان ، ناديا ظافر ، الفونسو العاشر و الاسلام ، المجلة العربية السعودية ، العدد 4 و 5 ، (الرياض ،1979م) ، ص 110 – 112 .
[134] الزيدي ، موسوعة التاريخ الاسلامي ، ص33 ؛ طقوش ، تاريخ المماليك ، ص148 ؛ عاشور ، الجهاد الاسلامي ضد الصليبيين والمغول ، ص137 .
[135] القبيلة الذهبية : شكل المغول بعد غزوهم لبلاد القفجاق دولة واسعة شملت أكثر أراضي الروس منها بلاد القريم واذربيجان وخوارزم وسقناق ولداغستان وتركستان ، وسميت بالقبيلة الذهبية نسبة الى لون خيامهم الذهبية ذوات القبب اذ كانت موشاة بغطاء من الذهب. ينظر : القصاب ، محمد يونس فلح ، مغول القفجاق وعلاقتهم السياسية بالمماليك والايلخانيين ، رسالة ماجستير غير منشورة ، (جامعة الموصل : كلية الآداب ، 2005م) ، ص 63 .
[136] بركة خان بن دوشي خان بن جنكيز خان ، وهو احد سبعة ابناء ، ورث منصب ابيه زعيماً للقبيلة الذهبية واصبح أعظم ملوك التتار ، كرسي مملكته مدينة صراي ، كان قد مال الى دين الاسلام ، وراسل الملك الظاهر بيبرس ، كسر ابن عمه هولاكو ، مات سنة 665 هـ / 1268 م . ينظر : أبو الفداء ، عماد الدين اسماعيل (732 هـ / 1331 م) ، المختصر في اخبار البشر ، ط1 (القاهرة : المطبعة الحسينية ، د.ت) ، ج 4 ، ص 4 ؛ ابن العماد ، شذرات الذهب ، ج 7 ، ص 552 .
[137] طقوش ، تاريخ المماليك ، ص111 – 112 ؛ سليمان ، المغول والمماليك ، ص83 وما بعدها .
[138] سلاجقة الروم : كان ظهور هذه الدولة في بلاد الأناضول على يد مؤسسها سليمان الأول بن قتلمش 470 هـ / 1077 م ، وتمكنت من ضم آسيا الصغرى لها في أواخر القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي ، وقد تمكن المغول من إسقاط هذه الدولة سنة 700 هـ / 1300 م . ينظر : شاكر ، محمود ، التاريخ الإسلامي (العهد المملوكي) ، ط4 (بيروت : المكتب الإسلامي ، 1411 هـ / 1991 م) ، ج 6 ، ص 229 ؛ السامرائي ، خليل إبراهيم وآخرون ، تاريخ الدولة العربية الإسلامية في العصر العباسي ، ط2 (الموصل : دار الكتب ، 1988 م) ، ص 225 - 226 .

[139] عز الدين كيكاوس بن غياث الدين كيخسرو حكم دولة سلاجقة الروم مع اخيه ركن الدين قلج أرسلان وكان الحكم ثنائياً بين الأخوين لإدارة شؤون البلاد . العيني ، عقد الجمان ، ج 1 ، ص 73 .
[140] كان السلطان ركن الدين قليج أرسلان ، ملكاً شجاعاً كريماً لكنه لم يكن أحكمته التجارب ، فوض الأمور الى معين الدين سليمان البروناه بالتدبير واستفحل أمره ، فأراد ركن الدين قتله والراحة منه واستشعر البروناه ذلك منه فعمل على قتله في سنة 666 هـ/ 1269م . اليونيني ، موسى بن محمد البعلبكي(726 هـ / 1326 م) ، ذيل مرأة الزمان ، (الهند : دائرة المعارف الاسلامية ، 1954 – 1961 م) ، ج 2 ، ص 387 ؛ أبن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج7 ، ص 226 .
[141] الزيدي ، موسوعة التاريخ الاسلامي ، ص33 – 34 ؛ طقوش ، تاريخ المماليك ، ص112 .
[142] عاشور ، العصر المماليكي ، ص 58 – 59 .
[143] عاشور ، سعيد عبد الفتاح ، الحركة الصليبية ، ط2 (القاهرة : مكتبة الانجلو المصرية ، 1971 م) ، ج 2 ، ص 1142 .
[144] انطاكية : مدينة هي قصبة العواصم من الثغور الشامية ، من أعيان البلاد وأمهاتها بينها وبين حلب مسيرة يوم وليلة . الحموي ، معجم البلدان ، ج 1 ، ص 266 ؛ البغدادي ، مراصد الاطلاع ، مج 1 ، ص124 – 125.
[145] بوهيمند السادس (648 – 673 هـ / 1252 – 1275 م) : وهو أمير أمارة انطاكية وكونت طرابلس ابن بوهيمند الخامس ولوسيانا دي سيجني ، وصهر هيثوم الاول ملك مملكة أرمينية الصغرى ، خلف والده في حكم انطاكيا وطرابلس بعد وفاته سنة 648 هـ / 1252م وقد تحالف مع مملكة أرمينية الصغرى والمغول ضد المسلمين ، وعند اجتياح المغول لبلاد الشام حصل على اللاذقية ودير كوش وتلمنس وشقيف دبين مكافأة له على محالفته للمغول لكنه رغم ذلك لم تمكنه الظروف من القيام بعمل عسكري ضد المسلمين في بلاد الشام لوقوع مسلمي حلب تحت حماية المغول ، ولتورطه فيما شجر من خلافات شملت كل طوائف الصليبيين في المنطقة وشغلته عن واجبه الصليبي ، وكان من نتائج محالفته للمغول خسارته مدينة انطاكية سنة 666 هـ /1268 م التي سقطت بيد الظاهر بيبرس ، توفي سنة 637 هـ / 1275 م . ينظر : عطية ، حسين محمد ، إمارة أنطاكية الصليبية و المسلمون 567 – 666 هـ / 1171 – 1268 م ، تقديم : جوزيف نسيم يوسف و بيتر وليام الإبيوري ، ط1 (القاهرة : دار المعرفة الجامعية ، 1989م) ، ص 404 ؛ الناصر ، صفوان طه حسن ، دور الملك الظاهر بيبرس (658 – 676 هـ / 1259 – 1277 م) في تحجيم التحالف المغولي – الأرمني – الصليبي ، مجلة التربية و العلم ، مج 16 ، العدد (1) ، (جامعة الموصل : كلية التربية ، 2009 م) ، ص 72 ؛ قداوي ، علاء محمود خليل ، تحالف ملوك أرمينيا الصغرى و أنطاكيا الصليبية مع المغول لاحتلال بلاد الشام وتصدي المماليك لهم (644 – 723 هـ / 1246 – 1323 م) ، (جامعة الموصل : كلية الآداب ، د.ت) ، ص 4 – 5 .

[146] هيثوم الأول بن قسطنطين بن باساك الأرمني ، تولى حكم مملكة أرمينية الصغرى منذ سنة 622 هـ / 1269 م ، تخلى عن الحكم فيها لأبنه وتوفي سنة 669 هـ / 1271م . ينظر : اللهيبي ، فتحي سالم حميدي ، الأيوبيون ومملكة أرمينية الصغرى ، (جامعة الموصل : كلية الآداب ، د. ت) ، ص 10 ، الناصر ، دور الملك الظاهر بيبرس في تحجيم التحالف المغولي – الأرمني – الصليبي ، ص 80 ، هامش 2 .
http://www.attarikh- alarabi.ma.

[147] أرمينية الصغرى : ذكرها ياقوت الحموي بأنها تتكون من تفليس ونواحيها ، وهي عبارة عن مائة و ثماني عشرة مملكة ، تقع في جنوب غرب آسيا الصغرى ، وقد تكونت هذه المملكة نتيجة للهجرات الأرمينية الى المناطق الواقعة غربي الفرات وشماليه وذلك بعد أن تمكن السلاجقة من فتح هضبة أرمينية ، وقد ظهر أمر هذه المملكة أبان الحروب الصليبية عندما تحالفت هذه المملكة مع المغول ضد المماليك الذين أنزلوا بها ضربات موجعة بعد ذلك و تمكنوا من القضاء عليها سنة 776 هـ / 1374 م . لمزيد من التفاصيل ينظر : الحموي ، معجم البلدان ، ج 1 ، ص 159 – 161 ؛ عاشور ، سعيد عبد الفتاح ، سلطنة المماليك ومملكة أرمينية الصغرى ، ضمن كتاب بحوث ودراسات في تاريخ العصور الوسطى ، (بيروت : جامعة بيروت العربية ، 1977 م) ، ص 225 ومابعدها ؛ الغامدي ، علي محمد ، بلاد الشام قبيل الغزو المغول(589– 657 هـ / 1193 – 1259 م) ، ط1 (مكة المكرمة : مكتبة الطالب الجامعي ، 1408 هـ / 1988 م) ، ص 348 ؛ الغامدي ، عبد الله سعيد ، سياسة سلاطين دولة المماليك إزاء ميناء أياس الأرمني ، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، العدد (39) ، (الرياض ، رجب 1423 هـ) ، ص 789 ، هامش 2 .

[148] طقوش ، تاريخ المماليك ، ص 120 ؛ عاشور ، العصر المماليكي ، ص 60 .

[149] المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ص 483 .

[150] عاشور ، العصر المماليكي ، ص 60 ؛ طقوش ، تاريخ المماليك ، ص 97 ، 112 .

[151] غزة : مدينة في أقصى الشام من ناحية مصر ، بينها وبين عسقلان فرسخان او أقل ، وهي من نواحي فلسطين غربي عسقلان . الحموي ، معجم البلدان ، ج 4 ، ص 202 ؛ البغدادي ، مراصد الاطلاع ، مج 2 ، ص 993 .

[152] قيسارية : وهي بلد في أقصى الشمال على ساحل بحر الشام تعد من أعمال فلسطين بينها وبين طبرية ثلاثة أيام ، وهي على سبعة أميال الى الجنوب من حيفا. اليعقوبي ، أحمد بن أبي يعقوب (ت 284 هـ / 897 م) ، البلدان ، وضع حواشيه : محمد أمين ضناوي ، (بيروت : دار الكتب العلمية ، 2002 م) ، ص 327 ؛ الحموي ، معجم البلدان ، ج 4 ، ص421 .

[153] يافا : مدينة تقع على ساحل بحر الشام الى الغرب من الرملة على ثمانية اميال منها ، وهي من أعمال فلسطين بين قيسارية وعكا. ينظر : ابن خرداذبة ، أبي القاسم عبيد الله بن عبد الله (ت 300 هـ / 912 م) ، المسالك و الممالك ، (ليدن : مطبعة بريل ، 1889 م) ، ص79 ؛ الحموي ، معجم البلدان ، ج 5 ، ص426.

[154] عثليث : اسم حصن بسواحل الشام يعرف بالحصن الأحمر . الحموي ، معجم البلدان ، ج 4 ، ص85 .

[155] أرسوف : مدينة عريقة في فلسطين ، تقع على بعد ثلاث فراسخ جنوب قيسارية ، وفي العصر الصليبي كانت إمارة إقطاعية منحها الملك الصليبي لأحد اتباعه ، وبعد ذلك سيطر عليها فرسان الاسبتارية . ينظر : البيشاوي ، سعيد عبد الله ، نابلس في عصر الحروب الصليبية ، ط1 (عمان : د. مط ، 1411 هـ/ 1991 م) ، ص55 ؛ ووصفها ياقوت الحموي بأنها مدينة تقع على ساحل بحر الشام بين قيسارية ويافا . معجم البلدان ، ج1 ، ص 151 .

[156] ابن عبد الظاهر ، الروض الزاهر ، ص 230 – 231 ؛ عاشور ، الحركة الصليبية ، ج 2 ، ص 1140 ؛ عاشور ، العصر المماليكي ، ص 60 .

[157] عكا : بلد على ساحل بحر الشام من عمل الأردن . الحموي ، معجم البلدان ، ج 4 ، ص143.

[158] هيو لوزنيان الوصي على عرش قبرص الملقب باسم هيو الثالث تم تتويجه ملكاً لمملكة عكا في مدينة صور سنة 664 هـ / 1269 م ، وقد سعى الى توحيد قوى الصليبيين في عكا . ينظر : عطية ، إمارة أنطاكية الصليبية و المسلمون ، ص 478 – 479 .

[159] قبرص : وهي جزيرة في بحر الروم وبأيديهم دورها مسيرة ستة عشر يوماً . الحموي ، معجم البلدان ، ج 4 ، ص305.

[160] طقوش ، تاريخ المماليك ، ص 122 ؛ عاشور ، الحركة الصليبية ، ج 2 ، ص1141.

[161] أحدى قلاع الصليبيين في بلاد الشام ، لم نقف على تعريف لها في كتب البلدان التي بين ايدينا .

[162] صفد : مدينة في جبال عاملة المطلة على حمص بالشام ، وهي من جبال لبنان . الحموي ، معجم البلدان ، ج 3 ، ص412.

[163] هونين : بلد في جبال عاملة مطلّ على نواحي مصر . الحموي ، معجم البلدان ، ج5 ، ص420.

[164] تبنين : بلدة في جبال بني عامر المطلّة على بلد بانياس بين دمشق وصور . الحموي ، معجم البلدان ، ج2 ، ص14.

[165] الرملة : مدينة عظيمة بفلسطين وكانت قصبتها . الحموي ، معجم البلدان ، ج3 ، ص69.

[166] ابن عبد الظاهر ، الروض الزاهر ، ص 251 – 252 ؛ عاشور ، العصر المماليكي ، ص 61 .

[167] هو الملك المنصور الثاني ناصر الدين ابن الملك المظفر تقي الدين محمود بن الملك المنصور محمد ابن تقي الدين عمر ابن شاهنشاه الأيوبي ، تولى الحكم سنة 642 هـ / 1244م كان ملكاً جليلاً محباً للعلم والعلماء ، قرب اليه العدد منهم وأشهرهم المؤرخ الكبير ابن واصل الحموي ، توفي سنة 683 هـ / 1285 م . ينظر : الدواداري ، كنز الدرر ، ج8 ، ص266 – 267 .

[168] حماة : من المدن الكبيرة في بلاد الشام ، تشرف على نهر العاصي . الحموي ، معجم البلدان ، ج2 ، ص300 .
[169] دربساك : حصن يقع بالقرب من انطاكية في الاتجاه الشمالي الشرقي من حصن بغراس. الحموي ، معجم البلدان ، ج2 ، ص 646 ؛ طقوش ، تاريخ المماليك ، ص 134 ، هامش 3 .
[170] ابن عبد الظاهر ، الروض الزاهر ، ص 269 – 271 ؛ أبن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج 7 ، ص 140.
[171] أذنة : مدينة من مدن الثغور الشامية قرب المصيصة مشهورة تقع غرب نهر سيحان. الحموي ، معجم البلدان ، ج1 ، ص133 .
[172] المصيصة : وهي مدينة على شاطئ جيحان من ثغور الشام بين انطاكية و بلاد الروم تقارب طرسوس . الحموي ، معجم البلدان ، ج5 ، ص145.
[173] طرسوس : وهي مدينة بثغور الشام بين أنطاكية وحلب وبلاد الروم . الحموي ، معجم البلدان ، ج 4 ، ص28.
[174] سيس : مدينة كبيرة تقع في بلاد الأرمن ، وهي من أعظم مدن الثغور الشامية بين أنطاكية وطرسوس على عين زربة ، ولها قلعة وأسوار وهي ذات بساتين وبها يجري نهر صغير وهي عاصمة ملك أرمينيا وقاعدة ملكه . الحموي ، معجم البلدان ، ج 3 ، ص297 – 298 ؛ أبو الفداء ، المؤيد عماد الدين إسماعيل (ت732 هـ / 1331 م) ، تقويم البلدان ، رينود والبارون ماك كوكين ديسلان ، (بيروت : دار صادر ، 1850 م) ، ص356 – 357 .
[175] المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ص 552 ؛ عاشور ، العصر المماليكي ، ص 61 .
[176] طبرية : بليدة مطلة على البحيرة المعروفة باسمها ، وهي من أعمال الاردن في طرف الغور ، بينها وبين دمشق ثلاثة ايام وكذلك بينها وبين بيت المقدس ، وبينها وبين عكا يومان . الحموي ، معجم البلدان ، ج4، ص 17 .
[177] الشقيف أرنون : قلعة منيعة في جنوب لبنان شيدها الصليبيون في عهد الملك فولك الانجوي في سنة 534 هـ / 1139 م ، قرب مدينة بانياس فوق مرتفع بلغ حوالي 450 متر عن سطح البحر بين دمشق وساحل البحر المتوسط . البيشاوي ، سعيد عبد الله ، الممتلكات الكنسية في مملكة بيت المقدس الصليبية ، (الاسكندرية : د. مط ، 1990م) ، ص94، هامش 3 ؛ عوض ، محمد مؤنس ، تاريخ الحروب الصليبية (التنظيمات الدينية والحربية في مملكة بيت المقدس الصليبية) ، (عمان : د. مط ، 2014 م) ، ص92 .
[178] ابن عبد الظاهر ، الروض الزاهر ، ص 293 – 294 ؛ أبن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج 7 ، ص 142 ؛ طقوش ، تاريخ المماليك ، ص 125 .
[179] عاشور ، العصر المماليكي ، ص 62 .
[180] ابن عبد الظاهر ، الروض الزاهر ، ص 307 – 309 ؛ طقوش ، تاريخ المماليك ، ص 125 ؛ عاشور ، الحركة الصليبية ، ج 2 ، ص 1149 .
[181] عاشور ، العصر المماليكي ، ص 62 .
[182] حصن الاكراد : وهو حصن منيع أقيم على جبل الجليل المتصل بلبنان ويقابل حمص من جهة الغرب وقد أحتله الصليبيون سنة 503 هـ / 1109 م وبقي في أيديهم حتى تحريره في عهد السلطان الظاهر بيبرس . الحموي ، معجم البلدان ، ج2 ، ص 264.
[183] ابن عبد الظاهر ، الروض الزاهر ، ص 375 وما بعدها ؛ طقوش ، تاريخ المماليك ، ص 127 – 128 ؛ عاشور ، العصر المماليكي ، ص 63 .
[184] العيني ، عقد الجمان ، ج2 ، ص 74 – 76 ؛ المنصوري ، التحفة الملوكية ، ص71 ؛ عاشور ، سعيد عبد الفتاح ، قبرص والحروب الصليبية ، (القاهرة : د. مط ، 1957 م) ، ص47 – 48 .
[185] أبلستين : إحدى مدن الثغور في بلاد الروم ، تقع شرق مدينة قيصرية في اسيا الصغرى بين جبال طوروس والقسم العلوي من نهر جيحان . ينظر : الهروي ، أبو الحسن علي بن أبي بكر (ت 611 هـ / 1214 م) ، الإشارات الى معرفة الزيارات ، تحقيق : جانين سورديل طومين ، (دمشق : د. مط ، 1953 م) ، ص60 ؛ ليسترنج ، بلدان الخلافة الشرقية ، ص178 ؛ طقوش ، تاريخ المماليك ، ص141 .
[186] طقوش ، تاريخ المماليك ، ص 128 – 129 ؛ عاشور ، العصر المماليكي ، ص63 – 64 .
[187] الزيدي ، موسوعة التاريخ الاسلامي ، ص31 ؛ طقوش ، تاريخ المماليك ، ص136.
[188] أبغا بن هولاكو بن جنكيز خان ، تولى الحكم بعد وفاة أبيه ، أتصف بالشجاعة والخبرة في الحروب كانت له موقعه عظيمة مع الظاهر بيبرس في الأبلستين سنة 675 هـ/ 1276 م ، انتصر فيها الظاهر ، مات أبغا بهمذان سنة 680 هـ / 1281 م وعمره خمسين سنة . ينظر: ابن العماد ، شذرات الذهب ، ج 5 ، ص 366 ؛ أبن تغري بردي ، أبي المحاسن يوسف الأتابكي (ت 847 هـ / 1469م) ، المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي ، تح : محمد أمين وسعيد عاشور ، (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1984) ، ج 1 ، ص 198 - 200 .
[189] النسطورية : المعتقد النسطوري هو احد مذاهب الديانة المسيحية ، حيث انقسم المسيحيون الى فريقين ، فريق يناصر الكنيسة النسطورية ، وفريقاً يناصر الكنيسة الكاثوليكية والمذهب النسطوري الذي نسب الى نسطوريوس ، كان يشدد على التمييز بين الطبيعتين والفصل بينهما ، أي هناك طبيعتين للمسيح الهياً قبل التجسيد وبشرياً بعد التجسيد ، وقد كثر المسيحيون النسطوريون في بلاط خانات المغول في الشرق ، فنرى منهم عدداً كبيراً يشغلون المناصب الكبرى في الدولة المغولية . ينظر : حمد ، حافظ أحمد ، الدولة الخوارزمية والمغول ، (القاهرة : مطبعة الأعتماد ، 1949 م) ، ص245 – 249 ؛ قنواتي ، جورج شحاته ، المسيحية والحضارة الغربية ، ط2 (بيروت : د.مط ، 1984م) ، ص28 – 32.

[190] عاشور ، العصر المماليكي ، ص43 .

[191] العيني ، عقد الجمان ، ج2 ، ص 40 – 43 ؛ المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ص574 ؛ الزيدي ، موسوعة التاريخ الاسلامي ، ص31 .

[192] ابن عبد الظاهر ، الروض الزاهر ، ص 405 – 408 ؛ سليمان ، المغول والمماليك ، ص 94 .

[193] سليمان بن علي ، الصاحب معين الدين سليمان البروناه ، جعله السلطان علاء الدين في وزارته ، فعظم أمره الى ان استولى على ممالك الروم ، وصانع التتار وداراهم ، كاتب الملك الظاهر ، وكان من رجال العالم ودهاتهم وشجعانهم ، حازماً كريماً عارفاً فيه دهاء ومكر له إقدام على الأهوال وخبرة بجمع الأموال ، ثم نقم عليه أبغا بن هولاكو ونسبه الى انه هو الذي جّسر الملك الظاهر على دخول بلاد الروم ، قتله أبغا سنة 676 هـ / 1277م. الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ج 15 ، ص249 ؛ ابن العماد ، شذرات الذهب ، ج7 ، ص614 .

[194] قيصرية : مدينة عظيمة في بلاد الروم ، بناها ملك الروم من الحجارة ، وتسمى قيسارية ، وهي كثيرة الأهل عظيمة العمارة ، كرسي ملك بني سلجوق . القزويني ، زكريا بن محمد بن محمود ، آثار البلاد وأخبار العباد ، (بيروت : دار صادر ، د.ت) ، ص553.

[195] ينظر : الزيدي ، موسوعة التاريخ الاسلامي ، ص32 ؛ طقوش ، تاريخ المماليك ، ص141 – 142 ؛ سليمان ، المغول والمماليك ، ص 96- 97 .

[196] النوبة : أرض واسعة في جنوبي مصر وشرقي النيل وغربيه ، وهي بلاد واسعة ، وأهلها أمة عظيمة نصارى بعامتهم . القزويني ، آثار البلاد ، ص24 .

[197] أسوان : وهي مدينة كبيرة وكورة في آخر صعيد مصر و أول بلاد النوبة على النيل في شرقيه . الحموي ، معجم البلدان ، ج1، ص 191 .

[198] دنقلة : مدينة عظيمة ببلاد النوبة ، ممتدة على ساحل النيل ، طولها مسيرة ثمانين ليلة وعرضها قليل . القزويني ، آثار البلاد ، ص39 .

[199] طقوش ، تاريخ المماليك ، ص 113 .

[200] الملك داود هو ملك بلاد النوبة ، لم نقف على ترجمة له في المصادر التي بين أيدينا .

[201] عيذاب : بليدة على ضفة بحر القلزم هي مرسى المراكب التي تقدم من عدن الى الصعيد . الحموي ، معجم البلدان ، ج4، ص 171 .

[202] الهاشمي ، موسوعة تاريخ العرب ، ص 54 ؛ طقوش ، تاريخ المماليك ، ص115.

[203] شكندة : مرشكر ، مرقشنكر ، شكندة ، أشكندة ، مشكد ، اسم لشخص واحد وردت في المصادر والمشهور ما أورده ابن ابي الفضائل تحت أسم شكندة . ينظر : أبن أبي الفضائل ، مفضل ، النهج السديد والدر الفريد فيما بعد تاريخ ابن العميد ، (باريس : بلوشيه ، 1930 م) ، ص234 – 238 ؛ ابن عبد الظاهر ، الروض الزاهر ، ص 416 ؛ المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ص 621 – 623 .

[204] الهاشمي ، موسوعة تاريخ العرب ، ص 55 ؛ طقوش ، تاريخ المماليك ، ص115 – 116 .

[205] الأمير بدر الدين بيليك الخازندار ، أحد أمراء المماليك البحرية ، لم نعثر على ترجمة له في المصادر التي تسنى لنا الاطلاع عليها .

[206] الملك السعيد محمد بركة خان بن السلطان الظاهر بيبرس الصالحي ، تولى الحكم بعد والده لمدة سنتين ثم خلع ، وصف بالعدل ولين الجانب توفي سنة 678 هـ / 1279 م ، وهو منفي بالكرك ، وكان عمره عشرين سنة . ابن العماد ، شذرات الذهب ، ج 5 ، ص312 ؛ الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ج2 ، ص 197 .

[207] عاشور ، الجهاد الاسلامي ضد الصليبيين والمغول ، ص 292 ؛ عاشور ، العلاقات السياسية بين المماليك والمغول ، ص110 .

[208] ابن العبري ، غريغوريوس الملطي ، تاريخ الزمان ، (بيروت : دار الشرق ، 1986م) ، ص336 ؛ طقوش ، تاريخ المماليك ، ص154 .

[209] لم نعثر على ترجمة له في المصادر التي تسنى لنا الاطلاع عليها .

[210] المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ص 636 ؛ المنصوري ، التحفة الملوكية ، ص86 ؛ ابن العماد ، شذرات الذهب ، ج 7 ، ص 610 – 611 .

المصادر والمراجع

أ – المصادر الأولية

- البغدادي ، عبد المؤمن بن عبد الحق (ت 739 ه/1339 م) .
1– مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ، تح : علي محمد البجاوي ، ط1 (بيروت : دار الجيل ، 1412 هـ / 1992 م) .
- أبن تغري بردي ، جمال الدين أبي المحاسن يوسف الأتابكي (ت 874 هـ / 1469م) .
2 - المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي ، تح : محمد أمين وسعيد عاشور ، (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1984) .
3 - النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، تح : محمد حسين ، ط1 (بيروت: دار الكتب العلمية ، 1413هـ / 1992 م) .
- الحموي ، ياقوت بن عبد الله (ت 626 هـ / 1228 م) .
4 - معجم البلدان ، (بيروت : دار صادر ، 1397 هـ / 1977 م) .
- ابن حجر ، شهاب الدين أحمد بن علي الكناني العسقلاني (ت852هـ/1448م)
5 - رفع الإصر عن قضاة مصر ، تح : علي محمد عمر ، ط1 (القاهرة : مكتبة الخانجي ، 1418 هـ / 1998 م) .
- ابن خرداذبة ، أبي القاسم عبيد الله بن عبد الله (ت 300 هـ / 912 م) .
6 - المسالك و الممالك ، (ليدن : مطبعة بريل ، 1889 م) .
- الدواداري ، ابو بكر عبد الله بن آيبك .
7 - كنز الدرر وجامع الغرر ، تح : سعيد عبد الفتاح عاشور ، (القاهرة : دار احياء الكتب العربية ، 1972) .
- الذهبي ، محمد بن أحمد (ت 748 هـ / 1347 م) .
8 - سير أعلام النبلاء ، تحقيق : شعيب الأرناؤوط ، ط 3 (بيروت : مؤسسة الرسالة ، 1402هـ / 1982 م) .
- السبكي ، تاج الدين عبد الوهاب بن علي (771 هـ / 1369م) .
9 - طبقات الشافعية الكبرى ، تحقيق : مصطفى عبد القادر ، ط 1 (بيروت : دار الكتب العلمية ، 1420 هـ / 1999 م) .
- السيوطي ، عبد الرحمن بن الكمال (ت 911 هـ / 1505م) .
10 - تاريخ الخلفاء ، تحقيق : رضوان جامع رضوان ، ط1 (القاهرة : مؤسسة المختار ، 1425 هـ / 2004 م) .
- ابن شداد ، عز الدين محمد بن علي (ت 681 هـ / 1285 م) .
11- الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة ، تحقيق : يحيى زكريا عمارة ، (دمشق : وزارة الثقافة والأرشاد القومي ، 1978م) .
- الصفدي ، خليل بن أيبك (ت 764 هـ / 1362 م) .
12- الوافي بالوفيات ، تحقيق : أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى ، ط1 (بيروت : دار أحياء التراث العربي ، 1420 هـ / 2000 م) .
- ابن عبد الظاهر ، محيي الدين عبد الله (ت 692 هـ / 1293 م) .
13- الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر ، تح : عبد العزيز الخويطر ، ط2 (الرياض : د. مط ، 1976 م) .
- ابن العبري ، غريغوريوس الملطي .
14 - تاريخ الزمان ، (بيروت : دار الشرق ، 1986م) .
- ابن العماد ، أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد الحنبلي (ت 1089 هـ / 1678 م) .
15- شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، تحقيق : عبد القادر الأرناؤوط ومحمود الأرناؤوط ، ط1 (بيروت : دار أبن كثير ، 1413 هـ / 1992 م) .
- العيني ، بدر الدين محمود .
16- عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان ، تح : محمد محمد أمين ، (القاهرة : الهيئة المصرية للكتاب ، 1998 م) .
- أبو الفداء ، المؤيد عماد الدين اسماعيل (ت732 هـ / 1331 م) .
17- تقويم البلدان ، تحقيق : رينود والبارون ماك كوكين ديسلان ، (بيروت : دار صادر ، 1850م).
18- المختصر في اخبار البشر ، ط1 (القاهرة : المطبعة الحسينية ، د.ت) .
- أبن أبي الفضائل ، مفضل .
19 - النهج السديد والدر الفريد فيما بعد تاريخ ابن العميد ، (باريس : بلوشيه ، 1930م).
- ابن الفوطي ، كمال الدين عبد الرزاق بن تاج الدين أحمد (ت 723 هـ / 1323 م) .
20- الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة ، (بيروت : د . مط ، 1407 هـ / 1987 م) .
- القزويني ، زكريا بن محمد بن محمود .

21- آثار البلاد وأخبار العباد ، (بيروت : دار صادر ، د.ت) .
– القلقشندي ، أحمد بن علي (ت 821 هـ/1418 م) .
22- صبح الاعشى في صناعة الإنشا ، (القاهرة : المطبعة الأميرية ، 1333هـ/ 1915م)
– الكتبي ، محمد بن شاكر(ت 674 هـ / 1362 م) .
23- فوات الوفيات ، (القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، د.ت) .
– ابن كثير ، أسماعيل بن عمر القرشي (ت 774 هـ /1275 م) .
24- البداية والنهاية ، تحقيق : عبدالله عبد المحسن التركي ، ط1 (القاهرة : دار هجر ، 1419 هـ) .
– المقريزي ، تقي الدين أحمد بن علي (ت 845 هـ / 1441 م) .
25- السلوك لمعرفة دول الملوك ، تح : محمد مصطفى زيادة (القاهرة : د. مط ، 1941).
26- المقفى الكبير ، تح : محمد اليعلاوي ، ط 2 (بيروت : دار الغرب الإسلامي ، 1427هـ/ 2006 م) .
– المنصوري ، بيبرس الدوادار .
27- التحفة الملوكية في الدولة التركية ، تح : عبد الحميد صالح حمدان ، ط 1 (بيروت: الدار المصرية – اللبنانية ، 1987 م) .
– مؤلف مجهول من القرن الثامن الهجري .
28- كتاب الحوادث ، تح : بشار عواد معروف و عماد عبد السلام رؤوف ، ط1 (بيروت : دار الغرب الإسلامي ، 1997م) .
– النسوي ، محمد بن أحمد (ت639هـ / 1241 م) .
29- سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي ، تح : حافظ أحمد حمدي ، (القاهرة : مطبعة الاعتماد ، 1953 م) .
– النويري ، شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب (ت 732 هـ / 1331 م) .
30- نهاية الأرب في فنون الأدب ، تح : محمد ضياء الدين الريس ، (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1963 م) ، ج 29 ، تح محمد عبد الهادي شعيرة ، (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1990 م) ، ج 30 .
– الهروي ، أبو الحسن علي بن أبي بكر (ت 611 هـ / 1214 م) .
31- الإشارات الى معرفة الزيارات ، تحقيق : جانين سورديل طومين ، (دمشق : د. مط ، 1953 م) .
– اليعقوبي ، أحمد بن أبي يعقوب (ت 284 هـ / 897 م) .
32- البلدان ، وضع حواشيه : محمد أمين ضناوي ، (بيروت : دار الكتب العلمية ، 2002م) .
– اليونيني ، موسى بن محمد البعلبكي (ت 726 هـ / 1326 م) .
33 - ذيل مرأة الزمان ، (الهند : دائرة المعارف الاسلامية ، 1954 – 1961 م) .

ب – المراجع الثانوية

– بروفنسال ، ليفي .
34 - الاسلام في المغرب والاندلس ، ترجمة : محمد عبد العزيز سالم ومحمد صلاح الدين حلمي ، مراجعة : لطفي عبد البديع ، (القاهرة : دار نهضة مصر ، د.ت) .
– البيشاوي ، سعيد عبد الله .
35 - الممتلكات الكنسية في مملكة بيت المقدس الصليبية ، (الاسكندرية : د. مط ، 1990م).
36 - نابلس في عصر الحروب الصليبية ، ط1 (عمان : د. مط ، 1411 هـ/ 1991م).
– حمد ، حافظ أحمد .
37 - الدولة الخوارزمية والمغول ، (القاهرة : مطبعة الأعتماد ، 1949 م) .
38 - دائرة المعارف الإسلامية ، يصدرها باللغة العربية : أحمد الشنتاوي وابراهيم زكي خورشيد وعبد الحميد يونس ، مراجعة : محمد مهدي علام ، (القاهرة : د.مط ، 1933م) .
- " مادة بريد " ، مج4 .
- هونكمان ، " مادة الرها " ، مج 10 .
– الزركلي ، خير الدين .
39 - الأعلام ، ط16 (بيروت : دار العلم للملايين ، 2005 م) .
– الزيدي ، مفيد كاصد .

40 - موسوعة التاريخ الاسلامي – العصر المماليكي – (648 – 923 هـ / 1258 – 1517 م) ، (عمان : د. مط ، 2006 م) .
– السامرائي ، خليل إبراهيم وآخرون .
41- تاريخ الدولة العربية الإسلامية في العصر العباسي ، ط2 (الموصل : دار الكتب ، 1988 م) .
– سليم ، محمود رزق .
42- عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي ، ط 2 (د.م : د. مط ، 1381 هـ / 1962 م) .
– سليمان ، أحمد عبد الكريم .
43- المغول والمماليك حتى نهاية عصر الظاهر بيبرس ، ط1 (القاهرة : دار النهضة العربية ، 1405 هـ / 1984 م) .
– شاكر ، محمود .
44- التاريخ الإسلامي (العهد المملوكي) ، ط4 (بيروت : المكتب الإسلامي ، 1411 هـ / 1991 م) .
– شعبان ، ناديا ظافر .
45- الفونسو العاشر و الاسلام ، المجلة العربية السعودية ، العدد 4 و 5 ، (الرياض ،1979م) .
– طقوش ، محمد سهيل .
46- تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام ، ط1 ، (القاهرة : دار النفائس ، 1418 هـ / 1998م) .
– عاشور ، سعيد عبد الفتاح .
47- الحركة الصليبية ، ط2 (القاهرة : مكتبة الانجلو المصرية ، 1971 م) .
48- سلطنة المماليك ومملكة أرمينية الصغرى ، ضمن كتاب بحوث ودراسات في تاريخ العصور الوسطى ، (بيروت : جامعة بيروت العربية ، 1977 م) .
49- العصر المماليكي في مصر والشام ، (القاهرة : دار النهضة العربية ،1960م).
50- قبرص والحروب الصليبية ، (القاهرة : د. مط ، 1957 م) .
51- مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك ، (بيروت : دار النهضة العربية ،1972م)
– عاشور ، فايد حماد .
52- الجهاد الاسلامي ضد الصليبيين والمغول في العصر المملوكي ، ط1 (طرابلس: د. مط ، 1415 هـ/ 1995 م) .
53- العلاقات السياسية بين المماليك والمغول في الدولة المملوكية الاولى ، تقديم : جوزيف نسيم ، (القاهرة : دار المعارف ، 1975م) .
– عريكيز ، جمال محمد سالم .
54- فقهاء الشام في مواجهة الغزو الصليبي، ط1 (القاهرة : عين للدراسات والبحوث ، 1427 هـ / 2006 م) .
– العريني ، السيد الباز .
55- المغول ، (القاهرة : دار النهضة العربية ، 1406 هـ / 1986 م) .
– عطية ، حسين محمد .
56- إمارة أنطاكية الصليبية و المسلمون 567 – 666 هـ / 1171 – 1268 م ، تقديم : جوزيف نسيم يوسف و بيتر وليام الإبيوري ، ط1 (القاهرة : دار المعرفة الجامعية ، 1989م).
– عوض ، محمد مؤنس .
57- تاريخ الحروب الصليبية (التنظيمات الدينية والحربية في مملكة بيت المقدس الصليبية) ، (عمان : د. مط ، 2014 م) .
– الغامدي ، عبد الله سعيد .
58- سياسة سلاطين دولة المماليك إزاء ميناء أياس الأرمني ، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، العدد (39) ، (الرياض ، رجب 1423 هـ) .
– الغامدي ، علي محمد .
59- بلاد الشام قبيل الغزو المغولي(589 – 657 هـ / 1193 – 1259 م) ، ط1 (مكة المكرمة : مكتبة الطالب الجامعي ، 1408 هـ / 1988 م) .
– غوانمة ، يوسف حسن درويش .
60- أمارة الكرك الأيوبية ، ط2 (عمان : دار الفكر ، 1402 هـ / 1982 م) .
– قاسم ، قاسم عبده وعلي السيد علي .

61- الأيوبيون والمماليك (التاريخ السياسي والعسكري) ، (القاهرة : عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية ، د.ت) .
– القصاب ، محمد يونس فلح .
62- مغول القفجاق وعلاقتهم السياسية بالمماليك والايلخانيين ، رسالة ماجستير غير منشورة ، (جامعة الموصل : كلية الآداب ، 2005م) .
– قنواتي ، جورج شحاته .
63- المسيحية والحضارة الغربية ، ط2 (بيروت : د.مط ، 1984م) .
– ليسترنج ، كي .
64- بلدان الخلافة الشرقية ، ترجمة : بشير فرنسيس وكوركيس عواد ، ط1 (بغداد : مطبعة الرابطة ، 1954م) .
– محمد ، سالم يونس .
65- أقطاي أمير المماليك البحرية ، مجلة التربية والعلم ، مج 16 ، العدد (3) ، (الموصل ، 2009) .
المغلوث ، سامي عبد الله .
66- أطلس تاريخ العصر المملوكي ، ط1 (الرياض : مكتبة العبيكان ، 1434هـ/2013م).
- موير ، وليم .
67- تاريخ دولة المماليك في مصر ، ترجمة : محمود عابدين وسليم حسن ، ط1 (القاهرة: مكتبة مدبولي ، 1415 هـ / 1995 م) .
– الناصر ، صفوان طه حسن .
68- دور الملك الظاهر بيبرس (658 – 676 هـ / 1259 – 1277 م) في تحجيم التحالف المغولي – الأرمني – الصليبي ، مجلة التربية و العلم ، مج 16 ، العدد(1) ، (جامعة الموصل : كلية التربية ، 2009 م) .
– الهاشمي ، عبد المنعم .
69- موسوعة تاريخ العرب (عصر المماليك والعثمانيون) ، (بيروت : دار البحار ، 2006م) .

جـ – مصادر الأنترنيت :

_ قداوي ، علاء محمود خليل .
70- تحالف ملوك أرمينيا الصغرى و أنطاكيا الصليبية مع المغول لاحتلال بلاد الشام وتصدي المماليك لهم (644 – 723 هـ / 1246 – 1323 م) ، (جامعة الموصل : كلية الآداب ، د.ت) .
http://www.attarikh- alarabi.ma
– اللهيبي ، فتحي سالم حميدي .
71- الأيوبيون ومملكة أرمينية الصغرى ، (جامعة الموصل : كلية الآداب ، د. ت).
http://www.attarikh- alarabi.ma
– مصطفى ، نهلة أنيس محمد .
72 – اولاد الناس بمجتمع عصر سلاطين المماليك ، دورية كان التاريخية ، العدد الخامس ، (الكويت : دار ناشري للنشر الالكتروني ، سبتمبر 2009 م).
http://www.historicalkan.co.nr